الموقف الفلسطيني من الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس (1882-1917)

أشرف القصاص*

ملخص: تتناول هذه الدراسة الموقف الفلسطيني من الاستيطان الصهيوني في القدس من سنة 1882 إلى سنة 1917م، وتنطلق أهمية الدراسة من أهمية مدينة القدس، ومن ضرورة معرفة الخطوات النظرية والعملية التي قام بها اليهود من أجل بدء الهجرة والاستيطان في مدينة القدس. وترصد الدراسة أساليب الخداع والاحتيال والتلاعب على القوانين في العهد العثماني لحيازة اليهود وأعوانهم الأراضي، وقد اتَّبع الباحث في دراسته منهج البحث التاريخي.

* باحث، فلسطين

The Palestinian Position on the Zionist Settlements in Jerusalem (1882-1917)

ASHRAF AL-QASSAS*

ABSTRACT This research examines the Palestinian position on the Zionist settlements in Jerusalem from the year 1882 to 1917. The significance of this research stems from the importance of Jerusalem city as well as from the necessity of knowing the theoretical and practical steps undertaken by the Jews to initiating immigration movements and establishing settlements in Jerusalem. The researcher follows the historical research method in his study where he observes methods of deception, fraud, and manipulation of laws employed by the Jews in the Ottoman era for the sake of owning Jews and their agents the possession of lands.

* Researcher. Palestine

رؤية تركية
2018 - (7/4)
123 - 89

مقدمة

تعود أسباب نشأة حركة الاستيطان الصهيوني في فلسطين عامة، والقدس خاصة، إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، حيث ظهرت النزعات المسيحية الصهيونية المؤيّدة لتجميع اليهود في فلسطين "وسط مسيحيي أوروبا، وخصوصًا البروتستانت" منذ القرن السادس عشر الميلادي، ثم إقامة كيان لليهود في فلسطين.

واكبت ذلك نشأةُ "المشكلة اليهودية" في أوروبا، وما تعرض له اليهود من اضطهاد، خصوصًا على يد الروس.

والقدس في العقيدة اليهودية تمثّل مكانة دينية خاصة، فهي عاصمة دولتهم، وأرض معبدهم، ومقر مسيحهم المنتظر، وموضوع القدس يمثّل أحد العناصر المهمّة في الإجماع القومي الصهيوني، فمِن أجل ذلك تحرّك اليهود مبكّرًا منذ منتصف القرن التاسع عشر من أجل الاستيطان في القدس في أواخر العهد العثماني.

وفي الجانب المقابل، تمثّل القدس لدى المسلمين مدينة مقدّسة مباركة، وتمثّل ذاكرةَ الأمة، تحدّث أخبارَها بمجد الأمة العربية والإسلامية. وتختزن بطولاتِ عمر بن الخطاب، وصلاح الدين الأيوبي، من أجل ذلك كان الموقف الفلسطيني مقاومًا للنشاط الصهيوني بكل الوسائل، وبخاصة في مدينة القدس، وفي غفلة من الأمة الإسلامية وفي مرحلة من مراحل التراخي والضعف، أضحت مدينةُ القدس هدفًا واضحًا للمؤامرة الاستيطانية الصهيونية؛ لتكون موطئ القدم الأول في فلسطين للصهيونية منذ بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي.

الموقف الفلسطيني من الاستيطان الصهيوني في مدينة القدس بين عامَي (1882-1917م)

أولًا- الموقف الفلسطيني من الهجرة والاستيطان الصهيوني

لم ينتبه العرب الفلسطينيون في بادئ الأمر للخطر الصهيوني، ولهذا عَدّوا الدفعة الأولى من المهاجرين اليهود لاجئين من البطش الغربي، فحلّوا بينهم على أنهم ضيوف يستحقون واجب التكريم وحسن الاستقبال، لم يرافق نشوء الشعور القومي عند العرب في القرن التاسع عشر أيّ شكل من أشكال العداء لليهود قبل بداية الغزو الصهيوني والهجرة الصهيونية الأولى عام 1882م، فقد كانت العلاقات العربية اليهودية ودية، إن لم نقل إنها كانت جيدة، وكان ثمة نشاط تجاري واجتماعي ملحوظ، إذ استفاد أصحاب الدور والمتاجر الفلسطينيون من زيادة الدخل التي جاء به المهاجرون اليهود، ومن ذلك أن حمام العين الواقع أسفل عقبة الخالدية –وهي حي من أحياء القدس– الذي كان يديره الوقف الخالدي، كان يحتوي على "ميكافاؤت"؛ أي

حمام يهودي لرواده من اليهود، وكانت قاعة الاستراحة ملتقى مهمًّا للعلاقات الاجتماعية، وكان حمام الشفا القريب منه يحتوي أيضًا على "ميكافاؤت"، وكان كلا الحمامين اليهوديين بإشراف حاخام يهودي.[1]

وقد لاحظ القنصل البريطاني الأول "يونج" هذا في تقاريره إلى الخارجية البريطانية عن حالة اليهود، وبيّن مدى التسامح الديني السائد بالنسبة لليهود، ولاسيّما بين المسلمين الذين سمحوا لليهود بالإقامة في الأحياء العربية، والذين كانوا يجيرون اليهود عند الحاجة.[2]

وكانت العلاقات بين الفلاحين العرب والمستوطنين اليهود في بداية تكوين المستوطنات حسنة إجمالًا، وبخاصة في المستوطنات التي استخدمت أعدادًا من العمال العرب في أعمالها الزراعية، وعدَّ سكانُ المدن من العرب المهاجرين اليهود حجّاجًا جاؤوا لدوافع دينية، أو لاجئين هربوا من الاضطهاد في أوروبا الشرقية، ولما كانت أعدادهم قليلة نسبيًّا، وكانوا يتسترون على دوافعهم السياسية- لم يظهر العرب في متصرفية القدس شعورًا عدائيًا نحوهم؛ على الرغم من حدوث بعض النزاع على الأراضي.[3]

وكان موقف العرب في مدينة القدس هادئًا خلال المدة بين عامَي 1858-1886م، لكن سرعان ما تحوّل موقفهم إلى شعور بالشك والاستنكار للهجرة الكثيفة، وأصبح وقوع اعتداءات من العرب على المستوطنات مألوفًا.[4]

وبدأ يتبدل الموقف من اليهود بعد أن أخذت طبيعة الوجود اليهودي في فلسطين تتحوّل من الطابع الديني والمعايشة إلى الطابع الاستعماري الاستيطاني، وازداد إحساس العرب بابتعاد المستوطنات اليهودية عنهم، حيث حرص المهاجرون اليهود على إضفاء الطابع العبراني الخالص على مستوطناتهم.[5]

وازداد هـذا الموقف رسـوخًا بعـد أن اتضحت النوايا الصهيونية على أثر تأسـيس المنظمة الصهيونيـة عام 1897م، والتركيز على الهجرة إلى فلسـطين، مع ما يتطلب ذلك من اسـتيطان لـلأرض، وتشريد للشـعب، وضياع لـلأرض الفلسـطينية، والتدمـير والتخريـب للاقتصاد الفلسـطيني، وجـاء إعـلان "بلفور" ليزيد الطين بّلـة، إضافة إلى بـروز التحالف العضوي بين الإمبريالية البريطانية والاستعمار الصهيوني.[6]

ومنذ أن بدأ الاستيطان الصهيوني سنة 1882م في فلسطين والشعب الفلسطيني يستشعر الخطر الداهم، كما استشـعره العرب في مصر وبلاد الشـام، إذ جاء اليهود الغرباء إلى فلسـطين هذه المرة ليسـوا على شـكل سائحين عابرين، ولا على شكل زوّار يظهرون ثم يغيبون، كما أنهم ليسـوا جيـش احتلال يقيـم الحاميات، ويصـدر الأوامر، بل كانـوا أشـتاتًا مهاجرين، عندهم مشروع سياسي استعماري كبير لا يقوم إلا باحتلال الأرض وطرد الشعب.7

وزاد من خطورة الأمر وقوع الأحداث الآتية:

1. انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في بال بسـويسرا سـنة 1897م، وإعلان مشروع الدولة الصهيونية.

2. تغلغل الحركة الصهيونية في أجهزة السلطنة العثمانية، وبخاصة بعد الانقلاب الدستوري سنة 1908م، وبدء الهجرة والتسلل الصهيوني.

3. دور بريطانيا، وإصدارها "وعد بلفور"، واحتلالها الأراضي الفلسطينية سنة 1917م.

وكانت هذه العوامل كلّها تواجه الشـعب الفلسطيني بالخطر الداهم، وتطرح عليه قضية المقاومة، ومنذ ذلك الحين وهو يقاوم المشروع الصهيوني بإمكانياته الذاتية المحدودة.[8]

المقاومة الفلسطينية غير المنظّمة:

بدأت المقاومة الفلسطينية للمشروع الصهيوني في وقت مبكّر؛ بسبب تدفق الهجرة، واتساع استيلاء الصهاينة على الأرض العربية، ومعاملة العرب بروح العداء، وامتهان حقوقهم بصورة غـير معقولـة، وتوجيه الإهانات لهم بدون مسـوّغ، وقـد أدّى ذلك إلى تفاقـم النقمة، وكانت المقاومة العربية عفوية غير منظمة، وأشـبه بردّات الفعل، ولم يكن الموقف الفلسـطيني في بداية الأمـر يتعدّى حـدود تقديم العرائـض الاحتجاجية ضد النشـاطات الصهيونية الاسـتيطانية في فلسـطين، وذلك بسـبب الضبابية التي كانت تسـود الموقف الفلسـطيني، بسـبب عدم تحلّي النخب السياسية والقبلية الفلسطينية بالنضج السياسي، والوثوق بالسياسات العثمانية، إضافة إلى عدم وجود حركة وطنية تقودهم في تلك الأثناء، وكان المشروع الصهيوني لا يزال في مهده وبدايته.[9]

وحـدث أول صـدام وقع بين العـرب والصهاينة عام 1886م، عندمـا هاجم الفلاحون الفلسطينيون المطرودون من قرى الخضيرة وملبس (بتاح تكفا)- اليهودَ في قراهم التي نزحوا منها رغماً عنهم، وتحولت إلى مسـتوطنات، بعد أن اشـتراها اليهود من كبار الملاك العرب، ثم أعادوا الكَرّة بهجوم مماثل سنة 1892م.[10]

وقام وفد من وجهاء القدس بالاحتجاج على المتصرف رشـاد باشـا؛ لأنه تَحَيّز إلى اليهود، وفي 24 حزيران 1891م أرسلوا احتجاجًا إلى الصدر الأعظم بالآستانة طالبوا فيه بمنع هجرة اليهود الروس إلى فلسطين، وتحريم استملاكهم للأراضي فيها.[11]

لـم ينتبه العرب الفلسطينيون في بادئ الأمر للخطـر الصهيوني ولهـذا عَدّوا الدفعـة الأولى مـن المهاجرين اليهود لاجئيـن مـن البطش الغربـي فحلّوا بينهم علـى أنهـم ضيـوف يستحقون واجب التكريم وحسن الاستقبال

وفي 26 حزيـران 1891م أبـرق متـصرف القدس العثـماني إلى الصدر الأعظم طالبًا تعليماته بشـأن الأخبار التـي تفيد بقرب وصـول 5000 يهـودي إلى ميناء يافا، وجـاء الرد بمنع اليهود من الإقامة، والسـماح لهم بزيارة القدس لفترة قصيرة.[12]

وكانت نقمة العرب في فلسـطين واضحة، حتى إن الزعيـم الصهيوني آحاد هاعام الذي زار فلسـطين سـنة 1891م بدعـوة مـن جمعية أحباء صهيـون- كتب مقالاً بعد عودتـه إلى أوروبا حذّر فيه الصهاينة من ثورة عربية فلسـطينية ضـد مسـتوطناتهم. وكان تطور الحيـاة السياسـة في مصر، وبروز نشـاط الأحزاب والصحافة قد ساعد على التعريف بالخطر الصهيوني.[13]

وقد التقى متصرِّف القدس مع قنصل ألمانيا لبحث ضرورة وضع حد للخطر الصهيوني على فلسـطين، وتزعّـم مفتي القدس محمد طاهر الحسـيني الاحتجاجات ضـد متصرفية القدس على تساهلها تجاه بيع الأراضي وبناء الأحياء الاستيطانية الصهيونية في القدس، وَتَرَأّس في عام 1891م هيئة مكلفة من السلطة بالتدقيق في نقل الملكية، وعمليات بيع الأراضي لليهود في متصرفية القدس، حتى لا يتمكن المهاجرون الصهيونيون من الحصول على أراضٍ جديدة[14]، وقد تمكنت تلك اللجنة من العمل على وقف انتقال الأراضي لليهود في المتصرفية إلى حَدٍ بعيد.[15]

ونسـتطيع أن نقسـم هذه المرحلة إلى حقبتين: الأولى من عـام 1897م حتى عام 1907م، والثانية من عام 1907م حتى عام 1917م.[16]

الحقبة الأولى من عام 1897م حتى عام 1907م

بـدأ الـرد العربي في فلسـطين والوطـن العربي سـنة 1898م، ففـي هذا العـام وقف أهل فلسـطين موقفًا حازمًا ضد المشروعات الصهيونية والهجرة اليهودية، وإمكان قيام "إسرائيل"

في بلادهم؛ لأنهم عدّوا ذلك خطرًا على حقوقهم وامتيازاتهم، وقام عرب شرق الأردن في هذا الوقت بالقضاء على المستوطنة الوحيدة التي أُسِّست في منطقة جرش[17].

ولم تلبث سنة 1900م أن شهدت حملة عرائض واسعة النطاق ضد بيع الأراضي للمهاجرين الصهاينة، وارتفع صوت نجيب عازوري سنة 1905م محذّرًا من الخطر الصهيوني، وكان نجيب موظفًا في القدس (1898–1904)، لكنه استقال؛ لأن المتصرف المعيّن رشيد بك لم ينفذ قوانين الباب العالي المتعلقة بالهجرة، وقال نجيب عازوري في كتابه يقظة الأمة العربية: "هناك حادِثان هامَّان من طبيعة واحدة، ولكنهما متناقضان، وهما: يقظة الأمة العربية، والجهد اليهودي الخفي لإنشاء مُلْك إسرائيل القديم من جديد، وعلى مقياس أوسع، فإن مصير هاتين الحركتين هو الصراع المستمر إلى أن تَغْلِب إحداهما الأخرى، ومصير العالم كلّه منوط بالنتيجة النهائية لهذا الصراع بين الشعبين اللذين يمثلان مبدأين متعارضين".[18]

الحقبة الثانية من 1907 حتى عام 1917

تبدأ هذه الفترة بالقرار الذي اتّخذه المؤتمر الصهيوني سنة 1907م بمباشرة "النشاط الاستعماري العملي في فلسطين على أوسع نطاق". وأعلن ماكس نوردو في المؤتمر: "نحن ننوي الذهاب إلى فلسطين بمثابة الحَمَلَة المعتمَدين للمدنية والتحضر، ورسالتنا هي توسيع الحدود الأخلاقية (الأدبية) لأوروبا، حتى تصل إلى الفرات"، ثم أضاف نوردو أن: "فلسطين تحوي

كثافة سكانية ضئيلة؛ وهذا يؤهلها لاستيعاب الملايين من المستوطنين المتحمّسين للعمل"، والذين "لا يمكنهم الانتعاش إلا هناك دون سائر الأمكنة.[19]

وأُنشِئ سنة 1908م مكتب فلسطين في يافا، وكانت مهمته شراء الأراضي في فلسطين، وفي العام نفسه "بُوشر ببناء الأحياء اليهودية قرب يافا"، وهي التي أصبحت تسمى "تل أبيب" فيما بعد. وأنشأت الحركة الصهيونية مؤسسات أخرى، كشركة "أنكلو ليفانتين" المصرفية في الآستانة، وشركة تطوير الأراضي الفلسطينية، والصندوق الثقافي اليهودي...إلخ.[20]

ثانيًا- أشكال المقاومة الفلسطينية للاستيطان الصهيوني:

1 - خط التعبئة الصحفية والثقافية:

اهتمت الصحف العربية بمتابعة أخبار الحركة الصهيونية بعد انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في "بال" في شهر آب 1897م، فأشارت صحيفة المقتطف[21] إلى اهتمام الصحف الأوروبية، وترحيبها بفكرة إنشاء مساكن لليهود المضطهدين في فلسطين، وفي نيسان 1898م استبعدت المقتطف إمكانية احتلال فلسطين؛ لأن اليهود المهاجرين حتى عام 1898م كانوا أهل صناعة وتجارة، ولا يظن أنهم سيعكفون على الفلاحة، ويُستَدَلّ من ذلك التقليل من الأطماع الصهيونية، وعدم إدراك حقيقتها، وعدم معرفة نوعية المهاجرين اليهود الذين تمكنوا منذ 1881م من تأسيس مستوطنات زراعية، وعلى الرغم من ذلك كانت صحيفة المقتطف من أوائل الصحف العربية التي أبدت اهتمامًا مباشرًا بالحركة الصهيونية، وبعد أسبوعين أُعيد نشر مقال المقتطف في مجلة "المنار"، وعقب محمد رشيد رضا (1865–1935م) عليه بعنوان "خبر واعتبار– جمعية اليهود الصهيونية" دعا فيه العرب إلى التنبه قائلًا: "أترضَون أن يُسجَّل في جرائد جميع هذه الدول أن فقراء أضعف الشعوب الذين تلفظهم جميع الحكومات من بلادها هم من العلم والمعرفة بأساليب العمران وطرقه، بحيث يقدرون على امتلاك بلادكم واستعمارها، وجعل أربابها أُجَرَاء وأغنياءها فقراء؟!"[22]، ثم عاود محمد رشيد رضا الكتابة في موضوع الصهيونية، فكتب مقالًا في عام 1902م بعنوان "حياة أمة بعد موتها– جمعية اليهود الصهيونية" فضح فيه أطماع الحركة الصهيونية، وحمل على الحكّام المسلمين، وطلب من الأمة عدم الاعتماد عليهم، وفي أيار 1903م اتّهم اليهود بالعمل على الاستقلال بفلسطين وإحداث ملك جديد فيها، وقد أدّى هنا الصحف العربية ورجال الفكر والثقافة دورًا أساسيًّا.[23]

وهكذا حذّرت المنار من الخطر الصهيوني، ودل محمد رشيد رضا بمقالاته عن الصهيونية التي ظل ينشرها تباعًا (1898– 1914م) على فهم وإدراك عميق للحركة الصهيونية وأطماعها، وكذلك اتّهمت جريدة "نهضة العرب" التي أصدرها نجيب عازوري في باريس– الاتحاديين بالتحالف مع اليهود والماسونيين، وأن اليهود تسلّطوا على جمعية الاتحاد والترقي، فدبروا الثورة على السلطان عبد الحميد الثاني بهدف بذر الخلاف بين العرب والأتراك، وهدم

الدولة العثمانية، وإقامة مملكة يهودية على أنقاضها، وقد وجدت هذه الأفكار طريقها إلى وزارة الخارجية البريطانية.[24]

وزاد اهتمام الصحافة بالأمر مع اتضاح الأهداف الصهيونية، ومع قيام الحركة الدستورية سنة 1908م؛ إذ ظهرت في العهد الجديد صحف جديدة، في دمشق وبيروت والقدس ويافا، وكان الجديد في الأمر ظهور عدة صحف في فلسطين.

الصحافة الفلسطينية تنبّه العرب على استفحال النشاط الصهيوني في عهد الاتحاديين :

صدرت صحيفة "الكرمل" عام 1908م في حيفا، وجعلت كشفَ مخاطر الصهيونية هدفَها الرئيس، ونبهت على الخطر الصهيوني منذ سنة 1909، وكانت الكرمل صحيفة صغيرة يعمل بها الصيدلاني نجيب نصار، وزوجته ساذج بهائي.[25]

حيث شن نجيب نصار حملة شعواء على الصهيونية، ونشر كتابًا بعنوان: (الصهيونية: تاريخها، غرضها، أهميتها)، تناول فيه تاريخ الحركة الصهيونية، فاضحًا الأسس العنصرية التي قامت عليها، ساخرًا من أسلوبها في التمويه والتضليل، متهمًا المتعاونين بالسطحية والجهل، وأن الصهيونية غرّرت بهم، واتهم الحكومة العثمانية بالتخاذل أمام واجباتها في منع الهجرة إلى فلسطين، ومع اشتداد الخطر الصهيوني دعا نجيب نصّار إلى عقد "مؤتمر لا للصهيونية" في نابلس؛ ردًّا على المؤتمر الصهيوني الحادي عشر في فينا (2–9 أيلول 1913).[26]

ووجدت صحيفة الكرمل في إلغاء الورقة الحمراء عام 1913م، أنّ الحكومة تعترف ضمنًا بأمر عدم التعرّض للمهاجرين في السابق، إما بسوء تصرّف المأمورين الذين يَعنيهم الأمر، وإما بعدم اقتدارهم، فكتبت تقول: "ومن حيث إنهم لم يظهروا كفاءة في تطبيق الورقة الحمراء، فمن المرجَّح أنهم لا يهتمون باتخاذ الوسائط لمعرفة المهاجرين وإخراجهم، فكان الأَولى- في نظر الحكومة- أن تلغي الورقة الحمراء دون أن تأمر باتخاذ الوسائط لمعرفة المهاجرين؛ لأن الورقة الحمراء لم تكن سوى حبر على ورق".[27]

وفي غضون الأشهر الأربعة الأولى من عام 1914م، أدّت الصحافة العربية الفلسطينية دورًا حاسمًا في توعية الرأي العام، والتمهيد للقيام بأعمال منظمة منسقة ضد الصهيونيين والنشاطات الاستيطانية، وثابرت تلك الصحافة دون كَلالة أو ملل على التنديد بمواقف "أولئك الأثرياء" المتنفذين الذين تعميهم مصالحهم الشخصية، فلا يرون الخطر الصهيوني المحدق بهم، ويؤثرون حاضرًا ذهبيًّا على حساب مستقبل مظلم لأبنائهم، وأجمعت تلك الصحف على تلك المقولة التي تقول: "من يملك الأرض والاقتصاد هو السيد الحقيقي، أما السيد السياسي فهو مجرد تابع له".[28]

وكانت الصحافة الفلسطينية، وتلك التي تنقل عنها- تراقب عمليات البيع بتخوف، وقد أكّدت صحيفة فلسطين ما كانت تذكره صحيفة "ذي تروث" البريطانية، حول شراء الأراضي بجوار القدس، وأن الصهيونيين يشترون جميع الأراضي الواقعة بين العفولة والقدس، وكانت الصحف العربية كثيرًا ما تتعرض للإغلاق، وتقديم أصحابها إلى المحاكمة بحجة نشرها مقالات تخّل بالأمن الداخلي العثماني، كما حدث مع صحيفة فلسطين، والكرمل، وكان الصهيونيون وراء إغلاق الصحف الوطنية التي تميط الستار عن أغراضهم، ولم يكتف الصهاينة بمحاولة إسكات الصحافة المناوئة لهم، بل عملوا حسب الخطة التي رُسِمت في المؤتمر الصهيوني بالردّ على الصحافة العربية والتأثير فيها: فطرحت جريدة النفير العثماني في حيفا في كانون ثان/ يناير 1914م موضوعًا لم يكن جديدًا حول منافع ومضار الصهيونية، كي يدلي الكتّاب بآرائهم فيه، ولوحظ أن المقالات كلَّها مجّدت الصهيونية، سوى مقالَين أدخلهما صاحب النفير بحجة الموضوعية.[29]

صدرت صحيفة "الكرمل" عام 1908م في حيفا وجعلت كشفَ مخاطر الصهيونية هدفَها الرئيس ونبهت على الخطر الصهيوني منذ سنة 1909

وفي شباط 1914م دعا نجيب نصّار صاحب جريدة الكرمل في حيفا- أهل فلسطين إلى تأليف جامعة عربية في فلسطين[30]، للعمل على توحيد الكلمة، وإفهام العرب الأضرار التي ستلحق بهم من سيطرة الحركة الصهيونية على فلسطين، ولقيت دعوة نصار بعض التجاوب، فشُكِّلت جمعيات فلسطينية في بيروت ويافا والآستانة والقاهرة، لكن هذه الجمعيات على كثرتها كان يعوزها التنظيم والتنسيق فيما بينها[31]. وقد أدّت "الكرمل" دورًا طليعيًّا، فدعت إلى "عقد المؤتمرات للبحث عن الطرق المؤدية لتنظيم هيئتكم الاجتماعية، وحفظ كيانكم، وإلا صرتم حكاية تاريخية بعد حين..."، وانتقدَت المؤتمر العربي الأول المنعقد في باريس عام 1913م؛ لأنه لم يعالج مسألة الصهيونية، وقد استمرت صحيفة الكرمل في أعدادها المتتالية في التوعية من الخطر الصهيوني المحدق بفلسطين، محذرة في الوقت ذاته من مطامع الحركة الصهيونية، ومن تقاعس السلطات العثمانية في مكافحة التغلغل الصهيوني، والمتمثّل في الهجرة والاستيطان، حيث أكدت أن الدولة اليهودية ستكون خنجرًا سامًّا في خاصرة العرب، ولم يسلم نصّار من قمع الأتراك، فسُجِن، وأُغلِقت صحيفته.[32]

وأدّت صحيفة "الأصمعي" دورًا مماثلًا، وما لبثت أن صدرت صحيفتا "فلسطين" 1911م و"المنادي" اللتان نقدتا النشاط الصهيوني والتساهل التركي تجاهه نقدًا لاذعًا، لتسهما في تبيان مخاطر الصهيونية[33]، وتحت عنوان "العدو الصهيوني" أجملت جريدة "المنادي" المقدسية في افتتاحيتها غايات المشروع الصهيوني على الأرض، وسبل مقاومته، كما وجّهت نقدًا لاذعًا إلى الشخصيات المحلية المتواطئة معها، ومما جاء فيها: "إن هذا النزيل الثقيل قد جاوز حده في خيانة مضيفه، وزينت له نفسه أمرًا سيئًا، فهو يحاول أن يطردنا من أرضنا، ويسلبنا أموالنا، ثم

يخيرنا بعد أن يتناهى إليه الحكم بين خطتين عظيمتين شديدتين، وهما: إما أن نظل في حكمه وتحت جوره، أو نترك له البلاد والأموال، ونبحث عن سواها... فمن قبيل الواجب على كل فلسطيني وطني أن يتدبر الأمر قبل استفحاله، ويجمع عدته لمقاومة هذا العدو المتلبس بثوب الصديق، والمسترد رداء الحُمْلَان...، وإن مسألة بيع الأراضي والبيوت إلى هذا العدو هي شر المسائل علينا، وهي كانت أكبر مساعدة له على امتداد سطوته في هذه البلاد، وإن طمع الكثيرين منا بالمال قد أثّر كثيرًا في تقلص ظل سطوتنا أمام العدو الصهيوني، ومن العار أن يدفع ذلك بعضًا من سراتنا على السعي لبيع ما أوقفه الأخيار إلى هؤلاء الصهيونيين، وإن من كبائر الآثام عند الله والمخزيات عند الخالق أن يسعى بعض الذين وكّلتهم الأمة للمحافظة على شؤونها وأحكامها إلى مساعدة هؤلاء المستعمرين علينا وتقوية جانبهم وتسهيل شراء الأوقاف والأراضي عليهم...".[34]

في شباط 1914م دعا نجيب نصّار صاحب جريدة الكرمل في حيفا أهل فلسطين إلى تأليف جامعة عربية في فلسطين للعمل على توحيد الكلمة وإفهام العرب الأضرار التي ستلحق بهم من سيطرة الحركة الصهيونية على فلسطين

كما قامت الصحف العربية بحملات مماثلة، وكانت تشدّد على ضرورة التنبيه على الخطر الصهيوني، وصَاحَبَ ذلك نشاط ثقافي مُنْذِر ومُحَذّر، وكان للشعر دور فيه، وقد أدّت الصحافة والثقافة هنا دورًا مشهودًا.[35]

ففي خريف 1910م ذهبت جريدة المقتبس إلى أبعد من ذلك، فاتهمت حكومة الاتحاد والترقي بإزالة العقبات التي وضعها السلطان عبد الحميد الثاني من طريق الاستيطان اليهودي،[36] ثم نشرت خطابًا مفتوحًا إلى سامي باشا الفاروقي، أوضحت فيه استيلاء الحركة الصهيونية على أجزاء من أقضية طبرية وصفد ويافا والقدس وحيفا بأسماء الرعايا العثمانيين بوساطة السماسرة، ولفتت الانتباه إلى أن للحركة الصهيونية علمها وبريدها الخاص، وتعمل على تكديس السلاح، واستدلت بذلك على شروعها في تنفيذ مخططاتها السياسية، وأهابت بالمبعوثين والحكومة وضع حد للأطماع الصهيونية قبل أن تصبح فلسطين ملكًا لليهود[37]، وأدرك العرب في متصرفية القدس حقيقة تواطؤ الحكومات العثمانية بسبب إفلاس خزينتها، وأمل المسؤولين في سد العجز من أموال الحركة الصهيونية، لذلك هاجمت جريدة "فلسطين" الصادرة في يافا الحكومة العثمانية في خريف 1912م، ووصفت الأوامر العديدة التي صدرت بمنع الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومنع الاستيطان واستملاك الأراضي بأنها كلّها حبر على ورق، بما فيها الورقة الحمراء، وعقدت مقارنة بين الأوامر التي تمنع هجرة اليهود إلى فلسطين وهجرة أبناء فلسطين إلى أمريكا.[38]

ونضيف إلى ما سبق الدور الوطني الذي أدّاه النصارى العرب في القدس، مثل: رأي جرجي زيدان صاحب مجلة الهلال الصادرة في القاهرة، في أعقاب رحلة شاملة إلى فلسطين قام بها في عام 1914م، وعاين الآثار السيئة التي ألحقتها الحركة الصهيونية بالفلاحين العرب، وكتب يوسف جريس فروجي من القدس مقالاً في الأهرام أشار فيه إلى أطماع الحركة الصهيونية بالاستقلال في فلسطين، وذكر أن المستعمرات الصهيونية أشبه بولايات مستقلة لا تخضع لقوانين الدولة وأنظمتها، بدعوى أنها أجنبية، ونقتبس مما قاله[39]: "مما لا شك فيه من مستقبل تلك البلاد؛ إذا ظلت على ذلك واليهود عاملون على ابتياع الأراضي واستعمارها، وأهلها غافلون أو متجاهلون، وحكومتها ساكتة أو مشغولة، فلا يمضي زمن طويل حتى تصير كلّها لليهود"، ويرى جرجي زيدان أنه لا يمكن تلافي الخطر الصهيوني إلا بالنسج على منواله من حيث استغلال الأرض بالوسائل الحديثة، وإنقاذ الفلاح من المرابين، فيقول: "وفي وسع الحكومة أن تفعل ذلك، لكنها مشغولة مضطربة، أما أعيان البلاد فمنصرفون إلى المسائل السياسية والتنازع على الوظائف والنيابات، أو المطالبة بالإصلاح، ولو صرفوا الهمّة والجهد إلى الناحية الاقتصادية لكان ذلك أقرب إلى الوطنية والاستقلال[40]، أما خليل أفندي السكاكيني مدير المدرسة الدستورية في القدس، وأحد أقطاب النهضة الأرثوذكسية- فيرى أن: "الصهيونيين يريدون أن يملكوا فلسطين، وهي قلب البلاد العربية،... ويقسموا الأمة العربية إلى قسمين يصعب معهما اتحادها وتضامنها"، وأما فيض الله العلمي مبعوث المتصرفية ومن أعيان القدس- فوصف الواقع المؤلم آنذاك بقوله: "إذا دمنا على حالنا فلا بد أن يأتي يوم يصبحون فيه أهل البلاد ونحن غرباء عنها".[41]

وقد وقفت الصحافة الفلسطينية إلى جانب كل المخلصين الذين رفضوا بيع أراضيهم لليهود، وتعرض السماسرة إلى هجمة شرسة من قِبل الصحف التي كانت تصدر في فلسطين إبّان الانتداب البريطاني، فيورد أحد الكتاب مقالة وردت في جريدة الكرمل في 20 حزيران/يونيو عام 1925م، تتعرض إلى السماسرة بالقول: "يا سماسرة السوء، يا باعة الأراضي، ويا أعداء الله والوطن، يا من أغواكم الشيطان، وأغوتكم المادة، يا من تبيعون أعراضكم، يا من تستهترون بمقدساتكم، وتلوثون ثرى بلادكم، ألا تخجلون؟!".[42]

2 - خط العمل السياسي والنضالي:

ويتوزع هذا الخط على الميادين الآتية:

توقيع وجهاء القدس على عريضة تطالب بمنع الهجرة اليهودية، ولم يسلم لواء القدس من الطيش والتواطؤ العثماني في بيع الأراضي، بعد ازدياد وتيرة الاستيطان وشراء الأراضي في داخل البلدة القديمة وخارجها، وإقامة مستوطنات، وأحياء استيطانية في القدس (خارج الأسوار).[43]

وبـدأ السـكان الفلسـطينيون يدركون مدى الخطـر الذي يهدد مسـتقبلهم، فبدأت ترتفع أصواتهم بالاحتجاج ضد متصرف القدس رشاد باشا (1889 -1890م) الذي كان متساهلًا في أمر شراء اليهود الأراضي في متصرفية القدس، بعد أن كان قد بذل رؤوف باشـا (1877 -1889م) متصرف القدس السابق جهودًا كبيرة لمنع انتقال الأراضي العربية في متصرفية القدس لليهود[44]. فقد أظهرت شـكوى موقّعة من وجهاء القدس عام 1891م، تقدم بها الوجهاء إلى "المقام الجليل للخلافة العظمى" وإلى الصدر الأعظم، وإلى مقام نظارة الداخلية في إسطنبول، موقّعة من أحمد يوسـف القاسـمي، وسـعيد الحسيني نائب القدس السـابق، إضافة إلى خمسين توقيعًـا مـن القدس، ويافا وغزة قائلـين: "عَلِمْنَا أخيرًا أن الحكومة تسـعى إلى تمليك الأراضي المـدورة التي يملكها السـلطان إلى شركة أصفـر (المملوكة لليهود)، وإذا تحقـق ذلك، فإنه من المؤكد أنه سيكون ضربة أليمة تجاهنا، وتجاه أولادنا، وعيالنا، وبلادنا... ولما كان من المسلَّم أن الحكومة العادلة تنظر إلى رعاياها المخلصين نظرة الأب الرحيم، وأن شركة (أصفر) سـتكون سـببًا في إخـراج الرعايا المخلصين من ولائهم، وسـيكون الضرر على الجميـع، ويكون الخطر الأكبر على الوطن العثماني المعروف بالشرف والعدل- لذلك نرفع احتجاجنا الشديد على هذه الشائعة"[45]، وتُعَدّ هذه العريضة أول عمل عربي منظم ضد الهجرة والاستيطان اليهوديين.[46]

لذلـك أصدرت إسـطنبول أوامرها في تشرين الثـاني 1892م إلى متصرف القدس، تقضي بمنع بيع الأراضي الأميرية، ومنع بيع العقارات في متصرفية القدس لليهود.[47]

ورغم الإجراءات والقرارات العثمانية التي تقضي بمنع بيع الأراضي في متصرفية القدس، استمر اليهود في عمليات شراء الأراضي، واتسعت قسوتها، واتسعت معها آثارها على المواطن الفلسـطيني، حتى شـملت مسـاحاتٍ شاسـعةً من الأرض الفلسـطينية، مثل ما نجد في وثيقة الشّـكاية الموجهة إلى السـلطان عبد الحميد والتي نصها: "نحن العبيد المستظلين بالظل الظليل في حـضرة السـلطان في أمـن وأمـان، نسـارع إلى عـرض وبيان الحـال المقلق الذي نعـاني منه، ذلك أن اليهودي "بوفسـكي" وكيل (البارون روتشـيلد)- باعتباره من الجنسـية الفرنسية- لا يفتـأ يـمارس بحقنا الظلم والتعدي، فمنذ قدومـه إلى قضائنا قبل 18 عامًـا، ومنذ إقامته بقرية "الجاعونة"[48]، وهو يمارس عملية شراء الأراضي، حتى وصلت مساحة الأراضي التي يتحكم بهـا في أكثـر من 300 ألف دونم، وقد حصـل على أكثر هذه الأراضي بطريـق المرابحة، والآن لا يكتفي باغتصاب الأراضي، بل يستعين برجاله في الاعتداء على المسلمين قولًا وفعلًا، حتى إنه ألحق مراقد الشـهداء والأنبيـاء والصديقين، والطرق العامة بأراضيه، ومنع المسـافرين من اسـتخدام هـذه الطرق، كما اغتصـب المراعي كلّها، وضمهـا إلى أملاكه، فحرمـت بهائمنا من الرعـي، وحـوّل المياه الجاريـة كاملة إلى أراضيه، حتـى أشرف أولادُنا وعيالُنـا على الهلاك من العطـش، كـما اتخذ من جبل "كنعان" -مرقد الأنبياء والشـهداء- ملكًا صريحًا له، وهدم المقابر الإسلامية، وخرّبها، وأنشأ بيوتًا لإسكان اليهود، فصرنا نرى المهاجرين اليهود يتوافدون إليها

أفواجًا، كي يستوطنوا أرض فلسطين، والكُنس والمدارس التي أنشاها المذكور من الصعب حصر أعدادها، ولما كنا متأكدين من أن مولانا حضرة صاحب مقام الخلافة الذي بلغت جمائله الرحيمةُ الآفاقَ، لن يرضى بأن تكون أراضي جبل كنعان التي كانت للأنبياء العظام والأولياء الكرام، ومسكنًا قديمًا لأهل الإسلام، في أيدي الأجانب، وأهل الإسلام في أسوأ حال؛ فإننا نناشدكم أخذ ما عارضناه بعين الاعتبار والأمر لحضرة من له الأمر".49

واتخذت المعارضة العربية في متصرفية القدس شكلًا جديدًا في النصف الأول من عام 1910م حيث:

1 – أرسلت برقيات احتجاج جماعية إلى إسطنبول ضد بيع الأراضي لليهود، وحثت برقيات أخرى المبعوثين العرب للحصول على تأكيد من طلعت بك ناظر الداخلية بأن إجراءات محكمة ستُتَّخذ لمنع دخول اليهود إلى فلسطين، وتمليك الأرض لهم،[50] من خلال مطالبة الدولة العثمانية باتخاذ الإجراءات اللازمة لمنع المهاجرين الصهاينة من التوطّن والتملّك، وكانت اتصالات القيادة الصهيونية بالدولة العثمانية، وبخاصة بعد الحركة الدستورية– تثير مخاوف العرب؛ ولذلك أخذت برقيات الاحتجاج والتنبيه تتوالى على عاصمة السلطنة منذ 1900م، وجاء في مضبطة نشرتها "الكرمل" يوم 4/ 7/ 1913م، وقّعتها غزة والقدس ويافا احتجاجًا على ما نشرته الصحف من عزم الحكومة على إعطاء 800 دونم لشركة "الأصفر" جاء فيها: "كتاب مفتوح إلى أمير المؤمنين وسلطان العثمانيين والصدر الأعظم وناظر الداخلية.. فتَغلغُلُ

الـشركات الصهيونيـة داخل هذه البـلاد طولًا وعرضًا لا يقلّ نتيجتها في المسـتقبل عن حرب البلقان.[51]

2 – خوض المعركة الدبلوماسية ضد الصهيونية: وذلك من خلال مجلس "المبعوثان"، وقد عدّ النواب المنتخبون عن مدن فلسطين هذا برنامجهم، كما يظهر من محاضر مجلس "المبعوثان". وتبرز هنا أسماء روحي الخالدي، وسعيد الحسيني... وكان النواب يخوضون المعركة الانتخابية على هذا الأسـاس، وأَسْهَم في ذلك نُوَّاب عرب آخرون، وعلى رأسهم الشهيد شكري العسلي نائـب دمشـق، وقد أجبر النـواب العرب في مجلس "المبعوثان رئيس الـوزراء على أن يعلن "أنه لن يسمح لليهود باسـتيطان فلسطين"، كما أجبروا وزير الداخلية سنة 1911م على أن يعلن معارضته للأهداف الصهيونية.

رغـم الإجـراءات والقـرارات العثمانية التي تقضـي بمنع بيـع الأراضي فـي متصرفية القدس استمـر اليهـود في عمليـات شراء الأراضـي واتسعـت قسوتهـا واتسعـت معها آثارها على المواطن الفلسطيني حتى شملت مساحاتٍ شاسعةً من الأرض الفلسطينية

3 – إنشـاء الجمعيات والأحزاب لتعبئة الشعب ضـد المخاطـر الصهيونيـة، ولبنـاء الحيـاة السياسـية والاقتصادية بما يكفل القدرة على المقاومة، فأُنشئت سنة 1909م منظمة محلية مهمتها الحيلولة دون بيع الأراضي لليهود، وقامت سـنة 1913م جمعية مكافحة الصهيونية في نابلس، وأُسِّسـت في القدس سـنة 1914م الجمعيات الآتية: "الجَمعيّة الخيرية الإسلامية"، و"جمعية الإخاء والعفاف"، و"شركة الاقتصاد الفلسطيني– العربي"، و"شركة التجارة الوطنية الاقتصادية"، وكان هدف هذه المؤسسات "الوقوف في وجه الأخطار الوشيكة التي تهدد أرض الوطن، وإنقاذ البلاد من الدمار".[52]

وأُنْشِـئت في مدن فلسـطين الأخرى مثل هذه الجمعيات، كما أُنْشِـئت في بيروت والقاهرة والآستانة، وكان هدف "جمعية مكافحة الصهيونية" ما يأتي:[53]

1. معارضـة الصهيونيين بكلّ الوسـائل، سـواء بإيقـاظ الرأي العـام، أو توحيد وجهات النظر حول هذه النقطة، ونشر برنامج الجمعية بين كل أوساط الأمة العربية عامة، وفي سورية وفلسطين خاصة.

2. تأسيس فروع وجمعيات في كل مدن سوريا وفلسطين من أجل هذا الغرض وحده.

3. السعي لنشر ثقافة الوحدة بين كل العناصر التي تتكون منها الأمة العربية.

4. تقديـم مسـاعدات في الشـؤون الاقتصاديـة والتجاريـة والزراعية، وتطويـر المزارعين والفلاحين من أجل أن يكونوا قادرين على إنقاذ أنفسهم من أيدي الصهيونيين.[54]

5. إرسال ممثلين إلى كل ذوي العلاقة في هذه المسألة لوقف جدول الهجرة الصهيونية.

ولما اشتدت وطأة الحركة الصهيونية على العرب في متصرفية القدس استغاث الأعيان في القدس ويافا وغزة في نيسان 1914م بالمنتدى الأدبي في الأستانة، وناشدوه العمل بحزم ضد التيار الصهيوني الجارف، الذي هدّد الموارد الاقتصادية للفلاح والتاجر، ولفتوا الانتباه إلى نفوذ الحركة الصهيونية في دوائر الحكم في متصرفية القدس، وأن حكومة إسرائيلية قد أُسِّست بينهم، تقاصص وتجازي، وأوضحوا أنه إذا كانت الحاجة إلى الإصلاح شديدة فإن الحاجة إلى دفع الخطر الصهيوني أشد، وناشدوا المنتدى باسم الوطنية أن يستعمل كلّ ما لديه من الوسائل المشروعة لينبه الحكومة على الخطر الصهيوني، 1907م حتى عام 1917م.[55]

واشتدت مناوأة الحركة الصهيونية، فوزّع أعيان القدس عام 1914م منشورات في القدس تحذّر من الخطر الصهيوني، وتضمّنت نداءً حارًّا إلى أبناء البلاد، وطلبت منهم ما يأتي:

1 – مطالبة الحكومة بإلحاح لصد تيار الهجرة الجارف.

2 – السعي إلى تقوية التجارة الوطنية والصناعة.

3 – عدم بيع الأراضي لليهود.

4 – النظر في كل الوسائل لمنع هجرة العرب من فلسطين.[56]

3 - القيام بنشاطات شعبية لمواجهة الاستيطان الصهيوني

أ- المقاومة الشعبية الفلسطينية:

وإذا كان هذا هو البرنامج الرسمي للجمعيات العربية، فإن "الإرهاب ضد المستوطنين اليهود في فلسطين جرى التفكير به في السرّ"، فمثلاً في أعقاب إخفاق ثورة 1905م في روسيا تدفّق المهاجرون اليهود على ميناء يافا، وبتحريض من الحركة الصهيونية طُرد الفلاحون والعمال العرب من المستوطنات الصهيونية، إضافة إلى المقاطعة الصهيونية المنظمة للمنتوجات العربية، فساد التذمّر في الأوساط العربية التي تأثرت مباشرة بتصرفات الصهاينة العنصرية.57

فوقعت أحداث بين العرب واليهود، مثل:

1. القيام بتظاهرات شعبية مختلفة، وتوزيع نشرات معادية للصهيونية، وكانت محاكمات الصحف التي أُوقِفَت بسبب مهاجمة الصهيونيين تتحول إلى شبه مظاهرات وطنية.

2. مهاجمة المستعمرات، وسرقة المواشي، وقطع الأغْرَاس، وإفلات المواشي على الحقول، وتهديم الأسوار؛ لأن السكان العرب "اعتبروا المهاجرين اليهود ألَدَّ أعدائهم. وكانت هذه العمليات عمليات انتقامية يقوم بها الذين طُرِدُوا من أراضيهم، والفلاحون الساخطون الذين رأوا قيام قلاع تأسيسية للدولة الصهيونية بين ظَهْرَانيهم، وتزايدت النقمة الشعبية بسبب تزايد النشاط الصهيوني، والتنازلات التي قدّمتها السلطات المركزية في الآستانة، وقاد ذلك

إلى تزايد قتل المستوطنين، وانتشار عمليات القتل من الشمال إلى الأجزاء الأخرى، وتكررت المصادمات بين الجانبين في يافا في آذار 1908م، وأغار العرب على المستوطنات، ولاسيّما بعد معارضة الحكومة العثمانية للهجرة اليهودية.[58]

وقام العرب في قضاء طبريا 1908م بمهاجمة المستوطنين، واتّهَم نجيب نصّار صاحب جريدة الكرمل في حيفا بأنه كان وراء ذلك النشاط، وإزاء إحساس نصّار بحقيقة الخطر الصهيوني استمر في حمل لواء مناهضة الحركة الصهيونية فاضحًا أطماعها، وسعيها لامتلاك الأرض، وإقامة الدولة اليهودية، وكاشفًا زيف ادعاءات اليهود العثمانيين، ومهيبًا بالعرب أن يهبّوا جميعًا لمقاومة الغزو الصهيوني العنصري لفلسطين بجمع الكلمة ووحدة الصف.[59]

وشهد صيف 1913م مهاجمة الفلاحين العرب المستوطنات اليهودية وقتْل حراسها، وربطت الحركة الصهيونية ذلك بحسد الفلاحين لهم من جهة، ولاستجابة حكومة الاتحاد والترقي للمطالب العربية بعد انعقاد المؤتمر العربي في باريس (حزيران 1913) من جهة أخرى.[60]

3. إنشاء أحزاب مثل الحزب الوطني العثماني سنة 1911م، وتشكيل جمعيات ولجان ذات طبيعة خاصة، كلِجان منع بيع الأراضي، ولجان الإشراف على الموانئ، لضمان تطبيق القوانين الخاصة بتقليص الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

4. عقد المؤتمرات والندوات والخطب والدروس المسجدية المنددة بالهجرة اليهودية والاستيطان الصهيوني، وتبيان خطرهما على مجمل الأوضاع في فلسطين.

ولما كان خلق وعي قوميّ مطلوبًا عن طريق نشر العلم والثقافة، فقد أُنْشِئ معهدان، هما: معهد الدستورية، ومعهد الروضة.

ب - المقاومة بالإنشاء والتعمير للأحياء العربية في القدس:

أما العرب من أهالي القدس، وبخاصة الأعيان والأثرياء، فقاموا بإنشاء العديد من الأحياء السكنية خارج أسوار المدينة. وذلك يبين مدى إدراكهم حجم المخاطر التي تتعرّض لها المدينة المقدسة، ودرجة الاستهداف الصهيوني لأراضي القدس وما جاورها، فكانت مقاومة من نوع جديد.

ومن هذه الأحياء:

1 - حي باب الساهرة: وقد شُرِع في بنائه سنة 1320هـ- 1902م، حيث شيّد عدد من أعيان القدس وأثريائها منازل فخمة وقصورًا راقية على امتداد شارع صلاح الدين خارج أسوار المدينة، منهم عائلات: الحسيني، ونسيبة، وهالا، وشتية، والنشاشيبي، وأبو السعود، والعفيفي، والبديري، والدقاق، وزبتية، وصندوقة، وغيرها.[61]

2 – حي وادي الجوز: ويقع إلى الشمال من الزاوية الشمالية الشرقية للمدينة القديمة (برج اللقلق) في وادٍ أقصى الطرف الشرقي من الحدود البلدية، وقد بُني فيه في القرن السادس عشر الميلادي قصر عائلة الخطيب، وكان منزلًا صيفيًّا حصينًا، ثم سكنَت هذا القصرَ عدةُ أسر من عائلات الهدمي والبدري وشهوان والدويك وعكرماوي وأبو غزالة وحمدون والدجاني وكمان والعفيفي، وكان به أكثر من سبعين منزلًا.[62]

3 – حي الشيخ جراح والكولونية الأمريكية: وقد بُني في تلك المنطقة العديد من المنازل الفخمة لكثير من أعيان العائلات الثريّة، مثل: الحسيني، والنشاشيبي، ونسيبة، وجار الله، وغوشة، وتقع الكولونية الأمريكية قرب جامع الشيخ جراح.[63]

شهد صيف 1913م مهاجمة الفلاحين العرب المستوطنات اليهودية وقتْل حراسها وربطت الحركة الصهيونية ذلك بحسد الفلاحين لهم ولاستجابة حكومة الاتحاد والترقي للمطالب العربية بعد انعقاد المؤتمر العربي في باريس (حزيران 1913)

4 – حي سعد وسعيد: ويقع على طريق نابلس، بُنِيَت فيه منازل للمسلمين والمسيحيين واليهود والأجانب، وقد أُطلِق عليه الاسم بعد بناء مسجد سعد وسعيد فيه، وكان يُسمَّى في العهد العثماني بالمسعودية.

كانت تقطن هذا الحي 119 عائلة سنة 1905م: 59 عائلة منها مسلمة، وكلها من رعايا الدولة العثمانية. ومن العائلات التي سكنت الحي: براكلي وقرش والجاعوني وعزمي طه وكمال وسبير الحوزي وعائلة لارسن وعائلة ليفي وعائلة سيمحا، ومن آل الدزدار ونسيبة والنشاشيبي والخالدي.[64]

5 – حي المصرارة: ويقع شمال باب العامود، وهو من أوائل الأحياء التي بنيت فيه المنازل خارج الأسوار، وأسواق بيع الفاكهة والخضروات، والصيدليات، ومخازن بيع الحبوب، ومواد البناء، والمقاهي، ودكاكين خياطة، وعيادات الأطباء، ومواقف للباصات والسيارات.[65]

6 – حي النبي داود: ويقع مباشرة خارج السور على جبل النبي داود كما يزعم اليهود، وتسكنه عائلة أبو الوفا الدجاني الذين تولّوا رعايته ونظارة أوقافه، وفيه قبور آل الدجاني، ومدرسة إنكليزية، وكنيسة، وقبر الشيخ المنسي.[66]

7 – حي الشماعة: ويقع جنوبي شرقي طريق ماميلا (مأمن الله)، وجنوبي غربي جبل النبي داود، وقد غلب عليه الطابع التجاري، حيث كان فيه متاجر للعرب واليهود، معظمها كراجات، ومحلات للوازم السيارات، ومخازن بيع الأقمشة.[67]

8 – حي الثوري أو دير أبو ثور: وقد نسب الحي إلى الأمير أحمد الثوري أحد الأبطال الذين شاركوا في تحرير القدس من الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي، وقبره على تلّة تقع على طريق بيت لحم، يوجد فيه دير للروم الأرثوذكس، ومدرسة حكومية، وقد بُنيت على سفح التلة قرية صغيرة في القرن التاسع عشر، ثم بنى أعيان من القدس بيوتًا كبيرة لهم، وظل

الفلاحـون والمزارعون في بيوت صغيرة من القرية، ونمت القرية في ثلاثينيات القرن العشرين بانتقال المزيد من أعيان القدس وموظفي الحكومة إليها.[68]

9 – حـي البقعـة: ويضم أحيـاء البقعـة الفوقـا، والبقعة التحتـا، وحـي الوعرية، وحي النمامرة، سكانه من المسيحيين والعرب، وكانت منطقة راقية، شيدت فيه المنازل والقصور على مساحات واسعة من الأراضي.[69]

10 – حـي الوعرية: وهو ضاحية صغيرة في منطقة البقعة جنوب الكولونية الألمانية، وإلى الشرق من الكولونية اليونانية، أسسه أحد أفراد عائلة الوعري، حيث شيّد منازل له ولأولاده، ثـم تحوّل الحي إلى ضاحية حديثـة ذات منازل كبيرة على مساحات واسعة من الأرض.[70]

أنشـأ العـرب مـن أهالي القدس وبخاصة من الأعيـان والأثرياء العديـد من الأحيـاء السكنية خـارج أسوار المدينـة وذلك يبين مـدى إدراكهم حجم المخاطر التي تتعرّض لها المدينة المقدسة ودرجـة الاستهداف الصهيوني لأراضي القدس وما جاورها فكانت مقاومة من نوع جديد

11 – حـي النمامرة أو النمريـة: ويقـع في البقعة، حيـث اشـتُريت المنطقة من مُلاّكهـا الفلاحين من بيت لحـم والمالحـة وبيت جـالا، وأوقفها المشـتري عبد الله إبراهيـم محسـن النمـري، وبنـى منازل لـه ولأولاده، وقـد صـادر البريطانيـون قسـمًا مـن الأرض لبنـاء نادٍ خاص بهم، كما بُنِيَت على أرضها الأسـواق والمحلات التجاريـة.[71]

12 – حي الطالبية: وهو حي سكانه على الأغلب من المسيحيين، يقع جنوب جمعية الشبان المسيحية، والمنازل فيه أشبه بالقصور، وفيه عدد من الأديرة ومدرسة العمرية.[72]

13 – حـي القطمون: ويقع غربي الكولونية الألمانية، كانت منطقته متطورة، وفيها العديد من محلات البقالة والخياطة والمكاتب ووسـائل الخدمات، وبُني فيها فندق سـمير أميس الذي نسفته العصابات الصهيونية في كانون الثاني/ يناير 1948م.[73]

14 – حي الكولونية الألمانية: أُنشـئ هذا الحي ليكون مسـتوطنة لفرسـان الهيكل، بهدف إقامـة "مجتمـع مسـيحي مثـالي في الأرض المقدسـة"، فبُنِيت المنـازل الراقية المحاطـة بالحدائق الجميلـة، وبُنِيَـت فيه محـلات الخدمـات التجارية، كالأفران التـي تقدم أنواع الخبـز الأجنبي، والـشركات التي تبيع البضائع الأجنبية، واللحوم، وقد سـكنه عدد من أعيان القدس العرب استئجارًا من أصحاب المباني.[74]

15 – حي الكولونية اليونانية: امتلكت كنيسـة الروم الأرثوذكس مسـاحاتٍ واسـعةً من الأراضي خـارج الأسـوار، اسـتعملتها في مشروعـات تجاريـة واقتصادية اسـتثمارية: مطاحن زيتـون، كـروم، ثم بُنِيَت كنيسـة ومنازل، وجنـوب الكولونية الألمانية أُنشِـئَت منطقة سـكنية

للعائلات اليونانية، وأُقِيم نادٍ مُورست فيه الأنشطة الاجتماعية كافة، ومثلهم مثل الألمان، فقد أجّر العديد من اليونانيين بيوتهم للعرب الذين شكّلوا حيًّا عربيًا.[75]

16 –حي مأمن الله (ماميلا): ويقع خارج باب الخليل. ويمتد حتى مقبرة مأمن الله، ويُعدّ الحي منطقة تجارية فيها المكاتب والوكالات والبنوك والمخازن والمصانع، وتطورت المنطقة ببناء دائرة البريد ومجمعات تجارية، وفي الحي شقق سكنية، إضافة إلى المركز التجاري للمدينة الجديدة (خارج الأسوار)، الذي بُنِيَت فيه مكاتب البلدية، ومبنى جمعية الشبان المسيحية، وفندق الملك داود، والعديد من دور السينما.[76]

ومع أن العديد من أعيان عائلات القدس وأبنائها انتقلوا إلى السكن في أحياء المدينة الجديدة خارج الأسوار، إلا أن ارتباطهم بالمدينة القديمة داخل السور ظلّ قويًا من خلال ارتباطهم الروحي بالأماكن المقدسة، وأنشطتهم التجارية في المدينة القديمة، وإقامة العديد من أفراد عائلاتهم وأقاربهم في المدينة القديمة.

ج- مقاومة بيع الأراضي لليهود :

من الواضح أن مساحات الأراضي التي سيطر عليها اليهود، تصيب القارئ بالدهشة، و مردّ ذلك إلى اتساع عمليات بيع الأراضي من قبل الفلسطينيين لليهود، حتى وصلت إلى 300 ألف دونم في قرية الجاعونة وما حولها؛ وذلك يعود بالدرجة الأولى إلى قلة وعي الفلاح الفلسطيني بخطورة نوايا اليهود في فلسطين، وانتشار طبقة السماسرة العرب الذين كانوا يشترون الأرض من الفلاحين بأسعار زهيدة؛ من أجل بيعها بأسعار مرتفعة إلى اليهود، إضافة إلى تمكّن اليهود من رشوة بعض المسؤولين المحليّين في الإدارة العثمانية المحلية.[77]

ومما لا شك فيه أن من يقوم ببيع أراضي الأوقاف لن يتورّع عن إدخال الفرق الصهيونية المتسترة تحت مسميات أجنبية؛ للتنقيب عن الآثار تحت المسجد الأقصى وقبة الصخرة والحرم الإبراهيمي، وربما لن يتورع عن بيعها بدراهم معدودة؛ ليشتري بثمنها أحزمة وطرابيش وبدلات وقنابيز، وما إلى ذلك، ومن يتصفح سجلات المحاكم الشرعية ودفاتر الطابو سيشاهد بأُمِّ عينيه التوقيعات والبصماتِ والأختامَ المضلعة والدائرية الكبيرة والصغيرة في ذيل وكالات البيع وعقود الصفقات المبرمة جنبًا إلى جنب مع توقيعات وأختام وكلاء الحركة الصهيونية، وربما كان من سوء حظ أبناء أصحاب التوقيعات والأختام أن تلك السجلات والدفاتر باقية، ومن العسير تدمير أصولها، كي لا يمسح التاريخ عنهم الخيانة والعار الذي ألصقوه بأنفسهم على مدى الأيام.

وقد وقفت الصحافة الفلسطينية بالمرصاد تندّد بالسماسرة والمُلّاك الكبار، حيث ارتفع سعر الأراضي نتيجة تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين، تبعًا لشدة الطلب عليها من قبل اليهود لاستيعاب المزيد من المهاجرين الجُدُد، وأمام ارتفاع الأسعار هذه لم يكن بوسع تلك الفئة "السماسرة" سوى

الانصياع لإغراء المال، فباعت قسمًا من أرضها لليهود،f دون واعز قومي، أو أيّ بصيرة بمستقبل البلاد، وقد أشارت جريدة الجامعة العربية إلى نوعية السماسرة الذين كانوا قد شاركوا في بيع الأراضي لليهود، حيث جاء فيها: "ففيها الزعيم الخطير، والوجيه الهمام، والحسيب والنسيب، والوطني الكبير، والأستاذ الجليل، وفيها ذوو ألقاب رفيعة وثروات طائلة"[79].

وفي المقابل وقفت الصحافة الفلسطينية إلى جانب عبد القادر الحسيني وكلّ المخلصين الذين رفضوا بيع أراضيهم لليهود، وقد تعرّض السماسرة إلى هجمة شرسة من قِبل الصحف التي كانت تصدر في فلسطين إبّان الانتداب البريطاني، فيورد أحد الكتّاب مقالة وردت في جريدة الكرمل في 20 حزيران/ يونيو عام 1925م تتعرّض إلى السماسرة بالقول: "يا سماسرة السوء، يا باعة الأراضي، ويا أعداء الله والوطن، يا من أغواكم الشيطان وأغوتكم المادة. يا من تبيعون أعراضكم، يا من تستهترون بمقدساتكم، وتلوثون ثرى بلادكم، ألا تخجلون؟!".[80]

وهكذا نرى أن حركة المقاومة كانت واسعة، وأنها تعددت في أشكالها، وشملت ميادين مختلفة، من الصحافة إلى الغارات، ومع ذلك فإنها كانت خلال هذه المرحلة كلّها لا تزال مقاومة شبه عفوية، وبخاصة في ميدان المقاومة المسلحة، ولم تستطع هذه المقاومة أن توقف مدّ الهجرة، وأن تُظْهِر للحركة الصهيونية، وللصهيونيّ المهاجر أن تكلفة بناء مستوطنات في فلسطين عالية، وأنَ مواصلة الهجرة غير ممكنة، ومهما يكن من أمر فقد اتّحد العرب المسلمون والمسيحيون في متصرفية القدس وعملوا معًا في قضية مشتركة ضد الصهيونيين، وقاد المسيحيون العرب –وأغلبهم من الأرثوذكس– حملة عنيفة ضد الصهيونية والهجرة اليهودية في صحفهم: (فلسطين في يافا والكرمل في حيفا)، فقد كانوا أكثر تأثرًا من المسلمين العرب بالمنافسة اليهودية في مجالات التجارة والصناعة.[81]

وهكذا كانت نظرة العرب في متصرفية القدس إلى الحركة الصهيونية واقعية، فقد أحسّوا بالغزو الصهيوني الذي يهدّد مستقبلهم، فحصلت منازعات بين الفلاحين والعرب والمستوطنين اليهود.[82]

ووقف الموظفون العرب في الدوائر العثمانية إلى جانبهم، وكان من بينهم شكري العسلي (قائم مقام قضاء الناصرة، ونائب دمشق في مجلس المبعوثان) الذي بذل كل جهوده لمنع اليهود من الهجرة وشراء الأراضي، وازدادت معارضة الأعضاء العرب في مجلس "المبعوثان" العثماني للنشاط الصهيوني في فلسطين.[83] وصرح راغب النشاشيبي مرشح القدس في انتخابات 1914م بأنه سيبذل أقصى جهوده لإزالة الخراب والخطر الذي يتهدّد المواطنين من الصهيونية والصهيونيين، فانتُخب بأكثرية فائقة.[84]

ويتبين لنا ممّا سبق أن موقف العرب في متصرفية القدس من الهجرة والاستيطان الصهيوني كان حاسمًا، فأسّسوا الجمعيات لمكافحة الصهيونية، ولجأوا إلى العنف المسلح، وفرضوا على

مرشحيهم لمجلس "المبعوثان" العمل على إزالة الخطر الصهيوني مقابل التصويت لهم، ولم يمرَّ موقف المؤتمر العربي في باريس في حزيران 1913م من موضوع الهجرة اليهودية بدون ملاحظة الصحف العربية في فلسطين؛ لأن المؤتمر لم يتعرّض بسوء إلى الهجرة اليهودية، ولما كان الشعور الشعبي مناوئًا للحركة الصهيونية استنكرت صحيفتا الكرمل وفلسطين[85] موقف المشاركين في المؤتمر، وسخرت من اهتمام المؤتمرين ببيان ما في هجرة منكوبي الروملي لسوريا من أضرار، وتجاهل أخطار الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وتساهل الحكومة العثمانية في تنفيذ القيود على الهجرة اليهودية، والذي زاد في حدّة موقف العرب في متصرفية القدس من محاولات التفاهم مع الحركة الصهيونية إقدام الحكومة العثمانية في تشرين الأول 1913م على إلغاء القيود المفروضة على الهجرة اليهودية؛ طمعًا في الحصول على الأموال اليهودية، وكانت السلطات العثمانية قد درجت منذ عام 1901م على منح اليهود إقامة مؤقتة لمدة ثلاثة أشهر، ولكن الإلغاء لم يأت بجديد؛ لأنّ جوازات السفر كانت تُرَد لأصحابها، ويُسمَح لليهود بالإقامة، وكل ما في الأمر أن حكومة الاتحاد والترقّي اعترفت بالأمر الواقع، وسمحت لليهود بالهجرة.[86]

وهكذا رفض العرب في متصرفية القدس محاولات التفاهم مع الحركة الصهيونية؛ لاعتقادهم أنها تريد ابتلاع فلسطين والاستقلال الإداري التام بها، بل إنها نفذت مخططها، واستولت على قسم من البلاد، لذلك طالبوا الحكومة العثمانية بوقف الخطر الصهيوني[87].

ونهض عيسى داود العيسى (صاحب جريدة فلسطين في يافا) للرد على تضليل الحركة الصهيونية للرأي العام العربي، وأوضح الفرق الكبير بين تصريحات الزعماء الصهاينة على صفحات الجرائد العربية وبين القرارات التي يتخذونها في مؤتمراتهم، وأكّد أن جميع التصريحات الصهيونية ما هي إلا تمويه وخداع وتضليل للرأي العام العربي.[88] وحمل نجيب نصّار (صاحب جريدة الكرمل في حيفا) على أعيان فلسطين قائلًا: "إن مصائب فلسطين تأتيها من بعض سراتها أكثر ما تأتيها من الصهيونيين؛ لأن هؤلاء السراة هم سماسرة الصهيونيين والبيّاعون لهم،[89] وأعلن محمد المحمصاني (عضو حزب اللامركزية) استحالة أي اتفاق مع الحركة الصهيونية. وفي 20 تموز 1914م كتب حقي العظم رسالة إلى محمد المحمصاني[90] جاء فيها: "اعلم يا أخي العزيز أن هؤلاء الناس يسيرون نحو هدفهم بسرعة، شاكرين مساعدة الحكومة، وعدم مبالاة الأهالي، وأنا متأكد بأننا إذا لم نعمل شيئًا للتأثير في الوضع الراهن للصهيونيين، فسيحققون هدفهم في فلسطين في سنوات قليلة، وبعد ذلك يتّجهون نحو سوريا والعراق، ولكن باستخدام وسائل التهديد والاضطهاد، وهذا الأسلوب الأخير هو الذي يجب أن نستخدمه فقط، ويتمثل في حثّ السكان على تدمير مزارعهم، وإشعال النار في مستعمراتهم، وتشكيل العصابات لتنفيذ هذه المخططات، بعد ذلك ربما يهاجر الصهيونيون من فلسطين لإنقاذ حياتهم".[91]

وقفت الصحافة الفلسطينية إلى جانب كل المخلصين الذين رفضوا بيع أراضيهم لليهود وتعرض السماسرة إلى هجمة شرسة من قِبل الصحف التي كانت تصدر في فلسطين إبّان الانتداب البريطاني

وفي ضوء ما تقدّم أخفقت الحكومة المركزية في إسطنبول والحكومة المحلية في القدس في تنفيذ سياسة منع الهجرة اليهودية، فاستمرّ التسلّل اليهودي الذي تمكن من إقامة مستعمرات زراعية نشيطة أصبحت نواة لوجود يهوديّ في البلاد، وقد رافق الهجرة اليهودية الكثيفة والتوسع في مشروعات الاستيطان الصهيوني ازدياد الإحساس بالخطر الصهيوني العنصري، فنشطت المقاومة العربية للمخططات الصهيونية قبل الحرب العالمية الأولى 1914م.

ويعود نجاح الحركة الصهيونية إلى جهل الوطنيين وغفلتهم وفقرهم، وإلى خيانة حكومة الاتحاد والترقي، وكذلك بعض الموظفين والسماسرة.

ثالثًا- موقف النخبة الفلسطينية من الحركة الصهيونية وأنشطتها الاستيطانية

موقف يوسف الخالدي (رئيس بلدية القدس) من أفكار هرتزل الاستيطانية :

كان الموقف الفلسطيني من موجات الاستيطان الصهيونية الأولية هو الرفض، حيث طالبوا بمنع الهجرة الصهيونية، وكان يوسف ضياء الخالدي (رئيس بلدية القدس) من أوائل

الذيـن أدركـوا حقيقة الأطـماع الصهيونية في فلسـطين، وبخاصـة بعد عقد المؤتمـر الصهيوني الأول في سـويسرا عـام1897م، حيـث كتب رسـالة إلى هرتزل، بالفرنسـية، أُرسِـلت له عن طريـق صـادوق كاهان رئيس الطائفـة اليهودية في فرنسـا آنذاك، مؤرخـة في الأول من آذار/ مـارس1899 م، ومـن المقربـين من زعـماء الحركـة الصهيونيـة[92]، طالبه العدول عـن الفكرة الصهيونية باستعمار فلسطين.[93]

وافتتح الخالدي رسـالته بالتعبير عن مشـاعر التقدير والمودّة تجاه اليهود، بعد ذلك انتقل للحديـث عن الصهيونية التي اعتبرها فكرة طبيعية وعادلة، والأهم من ذلك، أن الكاتب عبّر في رسالته عن اعترافه بحق اليهود في العيش في فلسطين، وبإمكان عودتهم إلى العيش فيها كما في العصور الغابرة. لكن الخالدي يضيف بعد ذلك: إن مصير الأمم لا يتقرّر بناء على المفاهيم المجردة والمثالية، وإنما على أساس الواقع والحقائق.[94]

ويـرى الباحـث أن الخالدي لم يكن يعلـم بحقيقة الحركة الصهيونيـة ونواياها حين كتب الرسـالة، فقـد أظهرت الحركـة الصهيونية في بداية نشـأتها الود والرغبـة في التعايش مع جميع الديانات؛ ويتضح ذلك من خلال محادثات هرتزل مع السـلطان عبد الحميد، والذي عبّر فيها الأخـير عن رغبته في إنشـاء جامعة عبريـة في القدس، تهدف الى نشر العلـم والتقدم في الدولة العثمانيـة، وكذلـك إلى تطوير الاقتصاد العثـماني، أما فيما يتعلّق بتصريـح الخالدي حول أحقية اليهـود في العيـش في فلسـطين، فيتصور أن موقـف الخالدي كان متناغمًا ومنسـجمًا مع موقف السـلطان عبد الحميد، وأسـلافه من السـلاطين حين سـمحوا لليهود بالعيش والاسـتقرار في فلسـطين، وقد عبّر السـلطان عبد الحميد لهرتزل مرارًا، عن عدم اعتراضه في اسـتقرار اليهود في فلسـطين، أو أيّ ولايـة عثمانية، بشرط أن لا يجري تركيزهم في فلسـطين، وفي نفس الوقت عدم إقامة أيّ تكتلات صهيونية سياسية في فلسطين تهدف إلى الانفصال بفلسطين عن الجسم العثماني، وقد عبّر الخالدي عن عدم اعتراضه على عيش اليهود في فلسـطين واسـتقرارهم، ولم يوافق على تأسيس دولة صهيونية.

وانتقلـت حملة التوعية مـن الخطر الصهيوني إلى مجلس "المبعوثـان" في العاصمة العثمانية، وتولاها نوّاب القدس روحي الخالدي، وسعيد الحسيني، وراغب النشاشيبي، وطالب النواب بسنّ تشريع يمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين وامتلاك الأراضي فيها.[95]

رابعًا- أما الاتجاه الفلسطيني الثاني المتعاون مع الحركة الصهيونية فيتمثل في الطابور الخامس:

الذي غلّب المصلحة الشخصية على العامة، وهان عند أفراده كلُّ الاعتبارات وقيم الدين والدولـة والأمن والأرض والشـعب مقابل إشـباع رغباته من الأمـوال، حيث عمل على نقل الأراضي إلى الحركة الصهيونية، وساعدها في تحقيق غاياتها، وروّج الدعايات المغرضة لتهجير

الشبان هجرة لا رجعة فيها إلى الأمريكيتين.[96] ويمثل هذا الاتجاه بعض كبار ملاكي الأراضي وأفندية المدن وشيوخ القرى والقبائل البدوية المستقرة والمرتحلة، وقد أتاح لها فرصة مساعدة الحركة الصهيونية حضورها الواضح في الجهاز الإداري، وإشغال مراكز إدارية حساسة؛ كإدارة القائم مقاميات والنواحي ودوائر الطابو والأوقاف والبلديات والمعارف والمدارس والنافعة والمالية والقنصليات العثمانية في الخارج، ومشاركتها في عضوية مجلس "المبعوثان"، والمجلس العمومي، والإدارة في القدس ومجالس الإدارة والبلديات وهيئات الاختيارية ومخاتير المحلات والقرى والقبائل البدوية، وكان هؤلاء يستغلون الظروف الصعبة التي تنتاب المزارعين في بعض المواسم لوضع أيديهم على الأراضي بدون مقابل، أو بالرهن والشراء المباشر، ومن ثم نقلها إلى وكلاء الحركة الصهيونية سرًّا وعلانية، ولم تتورع تلك الفئة عن بيع أراضي المزارعين فحسب، بل وأراضي الأوقاف الإسلامية والمسيحية على حد سواء.

وازدادت الأوساط الإعلامية الفلسطينية سُخطًا على السماسرة والملاك الكبار، وتكشف عن ذلك وثيقة ألمانية بعد نشرها لنبأ كانت صحيفة فلسطين قد نشرته في 13 تشرين ثان/ نوفمبر 1925م، تقول الوثيقة: "الأمة الألمانية أمة حية، ومجتهدة، ومُكِدّة، ليس هناك أمة في العالم تشبهها، والدليل على ذلك هو أن أكبر القوى وقفت ضدها خلال الحرب، ولا حاجة لأن نعرف هذه الأمة وسط بلدها، يكفينا أن نأخذ مثالًا بسيطًا من إحدى المستوطنات الألمانية الصغيرة في فلسطين، والتي يقتات أهلُها من أعمالهم في الزراعة، هذا الألماني الذي جاء إلى فلسطين من أجل البحث عن لقمة العيش، وليس له روابط في فلسطين سوى قطعة الأرض الصغيرة التي يمتلكها، والتي لا تتجاوز الخمس دونمات، مع مسكن صغير، نجده أكثر ارتباطًا من مالكي الدونمات الكبيرة، هو لا يبيعها ولا يتخلى عنها، كما نفعل نحن، مؤخرًا عرض الصهاينة على سكان المستوطنة المذكورة بيعهم المستوطنة بثمن مرتفع، مع إخبارهم بأن بنايات "تل أبيب" تحيط بهم من الجنوب والغرب، ومستوطنة "أورغنيم" من الشرق، وسيصبحون قريبًا محاصرين من أربع زوايا، أتعرفون يا عرب كيف كان الجواب؟: إنها بيوتنا لا نبيعها، وإنها أرضنا لا نتخلى عنها".[97]

مما سبق يتضح أن التطورات الأخيرة في القدس، والتي تمثلت في إقامة الإحياء الاستيطانية الصهيونية خارج الأسوار، كذلك المحاولات الصهيونية للسيطرة على الاقتصاد الفلسطيني داخل البلدة القديمة- أدّت إلى زيادة نقمة السكان العرب على الوجود الصهيوني في القدس، وإلى تمسك العرب بالقدس وبالهوية العربية الفلسطينية الإسلامية، لكن الموقف الفلسطيني، والمتمثل في الزعامات الفلسطينية، وفي الرد الشعبي لم يكن بنفس مستوى الخطر المحدق بالقدس وفلسطين، فقد كان الموقف الفلسطيني أضعف بكثير من المستوى المطلوب، بل عبارة عن رد فعل من المثقفين الفلسطينيين.

وكان محور اهتمام وتركيز المقاومة الفلسطينية خلال الفترة 1854-1917م على المقاومة السلمية للمشروع الصهيوني.

ويعزو الباحث ضعف الموقف الفلسطيني -في هذه الفترة- إزاء النشاط الاستيطاني الصهيوني إلى الأسباب الآتية:

1. افتقد الفلسطينيون وجود قيادة قادرة على توجيه الحركة الوطنية الفلسطينية، كما أنّ الحركة الوطنية الفلسطينية لم تكن على مستوى الأحداث والتحديات. حيث أدّت قلة الخبرة السياسية، والتنافس العائلي على قيادة الحركة الوطنية دورًا في إضعاف الحركة الوطنية الفلسطينية.

انتقلت حملة التوعية من الخطر الصهيوني إلى مجلس "المبعوثان" في العاصمة العثمانية وتولاها نوّاب القدس روحي الخالدي وسعيد الحسيني وراغب النشاشيبي وطالب النواب بسنّ تشريع يمنع اليهود من الهجرة إلى فلسطين وامتلاك الأراضي فيها

2. جهل السواد الأعظم من الجماهير الفلسطينية بالنوايا والمخاطر التي شكلتها الحركة الصهيونية.

3. المشروع الصهيوني لم يكن قد حقّق بعد نتائج عملية ذات أبعاد خطيرة على الوضع في فلسطين.

4. أغلب الشعوب العربية والإسلامية في هذه الفترة كانت ترزح تحت نِير الاستعمار الغربي، فلم تستطع مدّ يدِ العون لإخوانهم في فلسطين خلال هذه المرحلة، وهي الرافد الأساسي، والحاضنة الحقيقية للمقاومة في فلسطين والقدس عبر التاريخ.

النتائج:

1 - إن أهمية القدس في الفكر اليهودي ناشئة من الفراغ العقائدي في العقلية اليهودية، ومن جهة ثانية نسجته أساطير من وضع البشر، وهم مدونو التوراة، وهذه لا ترقى إلى مرتبة القدسية، فمسألة ارتباط اليهود بفلسطين مسألة لا تعدو كونها سطحية، ولا يؤيدها التاريخ، وما محبتهم لجبل صهيون إلا نقطة، ومؤامرة خبيثة التقت فيها أطماع الغرب بأحلام ومكر اليهود؛ فكان هذا الكيان المصطنع، والذي تلفظه حقائق التاريخ، ولتبقى المنطقة العربية منطقة مشتتة الآمال مقطوعة الأوصال، منهوبة الثروات، عاجزة عن استعادة دورها في الريادة والحضارة العالمية.

2 - شكلت القدس خلال الهجرة الأولى (1882-1904م) والثانية (1904-1914م) رمزًا أكثر منها هدفًا استيطانيًا، لكن هذا تبدّل مع مرور الوقت، وتحديدًا خلال سنوات الانتداب، حيث أصبحت الغالبية العظمى من المهاجرين اليهود تفضل الشريط الساحلي.

3 – انطلق النشاط الاستيطاني في أراضي مدينة القدس تحت ستار الدين حتى لا يثير حفيظة الدولة، والسكان المحليين، ثم انطلق هذا النشاط من القدس لأهميتها الدينية والسياسية إلى المدن الأخرى.

4 – ومن وسائل التوسع الصهيوني في القدس تقديم الرشاوى والهدايا للجهاز الإداري العثماني، ليحصلوا على المزيد من الأراضي والامتيازات للمهاجرين اليهود، كما اتبعوا أساليب المخادعة والتحايل على القوانين العثمانية من خلال تزوير الأوراق الرسمية الخاصة بالهجرة وانتقال الأراضي، وقد شكّل مبدأ الاحتيال، والكذب، والمراوغة، ثم القتل، والعدوان الإحلالي الذي يُعَدّ إحدى الركائز المهمة للاستيطان الصهيوني في القدس وفلسطين عامة.

التطورات الأخيرة في القدس والتي تمثلت في إقامة الأحياء الاستيطانية الصهيونية خارج الأسوار كذلك المحاولات الصهيونية للسيطرة على الاقتصاد الفلسطيني داخل البلدة القديمة أدّت إلى زيادة نقمة السكان العرب على الوجود الصهيوني في القدس

5 – بدأت الخطوات الميدانية للاستيطان الصهيوني في القدس وفلسطين، بالسيطرة على الأراضي البور والموات وغير المأهولة بالسكان، ثم انتقل الاستيطان إلى الريف الفلسطيني حيث الكثافة السكانية القليلة، ومع ازدياد الهجرة الصهيونية وتصاعد الدعم الغربي من الخارج بدأ الصهاينة بالنفاذ إلى قلب المدن الفلسطينية وفي مقدمتها مدينة القدس.

6 – إن بذور التغلغل الأجنبي والاستيطان الصهيوني زُرِعَت في أراضي المدينة المقدسة قبل صدور قانون الأراضي عام 1274هـ/ 1858م، وكان ذلك إبّان الحكم المصري على وجه التحديد، ثم أخذت في النمو شيئًا فشيئًا إلى أن ضربت جذورها في الأرض في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع العشرين، وبلغت ذروتها في إقامة المستوطنات، وشراء مساحات واسعة من الأراضي، واحتلال الجيش البريطاني أراضي مدينة القدس ما بين 1335هـ/ 1917م1336–هـ/ 1918م.

7 – استغل اليهود الامتيازات الأجنبية وقانون تملك الأجانب في حيازة الأراضي باعتبارهم رعايا للدول الغربية، وكانت القنصليات الأجنبية توفّر لهم كل الدعم والحماية، وتقوم بالضغط على إسطنبول لمنع تطبيق الإجراءات العثمانية التي تقيّد الهجرة الصهيونية وتمنع انتقال الأراضي من العرب إلى اليهود.

8 – كانت العناصر القيادية المكونة للحركة الصهيونية عبارة عن نخب سياسية، وعسكرية، وعلمية من إمبراطوريات، ودول شتى، كان يقابلها في الطرف الفلسطيني قيادة فلسطينية ضعيفة بسيطة، لم تحسن التقدير، ولم تكن على مستوى الأحداث، ولم تحظَ بالوعي

الكامل لحقيقة الحركة الصهيونية ونواياها، وهو ما سـّهل ومكّن للحركة الصهيونية من تمرير مخططاتها على القيادة الفلسطينية، والشعب الفلسطيني.

9 – منذ المؤتمر الصهيوني الأول في بال 1897م عملت الحركة الصهيونية على استغلال رمزية المدينة الدينية، من أجل استقطاب المهاجرين اليهود من دول العالم، والدفع بهم إلى فلسطين من أجل السيطرة على القدس وفلسطين، وقد ازدادت الهجرة الصهيونية إلى فلسطين بعد انقلاب مصطفى أتاتورك 1908م، وخلع السلطان عبد الحميد، والذي عمل ما بوسعه من أجل إيقاف الهجرة.

10 –لم تُقدِم الحكومة العثمانية –كما فعلت بشأن الأراضي وتنظيمها– على إنشاء مدارس، ومعاهد، وكليات زراعية للرفع من شأن الفلاحة والفلاحين، وهذا جعل تطور الفلاحة مرهونًا بالخبرة الزراعية المتوارثة عن الآباء، والأجداد، وكتب الفلاحة القديمة، والخبرات الوافدة مع العمالة المصرية، وأبناء الذوات الدارسين بالمدارس، والجامعات الأجنبية، وما تستورده الشركات التجارية من الآلات، والمعدات زراعية، والتقاوي، والمبيدات حشرية وغيرها. كما أن مدرسة "مكفيه إسرائيل" الزراعية بالقرب من يافا لم تلتزم بشروط السلطان عبد العزيز، وأهمها عدم التمييز في القبول بين أبناء المستوطنين، والسكان المحليين، وهو ما أوجد تباينًا ملحوظًا بين مزارع، وحقول المستوطنين، والسكان المحليين.

11 –إن السدة السلطانية في إسطنبول بذلت كل ما في وسعها لحماية أراضي القدس من تيار التغلغل الأجنبي، والمشروع الصهيوني الاستيطاني لدرجة أن السلطان عبد الحميد لم يرفض طروحات هرتزل زعيم الحركة فحسب، بل ذهب إلى أبعد من هذا عندما عمد إلى تحويل كل أرض يستهدفها الاستيطان إلى "جفتلك"، ووضع المزارعين تحت حمايته، وإيهام الجهات الطامعة، والسماسرة على أنها تحولت إلى أملاك خاصة للسلطان عبد الحميد الثاني.

12 –مدينة القدس التي كانت توازي ولاية كبرى من ولايات الإمبراطورية العثمانية– تولى إدارتها رجالٌ حملوا رتبًا رفيعة في السلك العسكري. ونظرًا لأهميتها المدنية إلى جانب الأهمية الدينية عند أصحاب الديانات السماوية الثلاث أصبحت لها مكانة محلية، وإقليمية، وعالمية؛ فعلى الصعيدين: المحلي، والإقليمي، لم تظهر في بلاد الشام الجنوبية مدينة أخرى تتقدم عليها في أهميتها منذ أن تراجعت مدينة عكا عاصمة ولاية صيدا إلى الوراء عام 1256هـ/ 1840م. أما أهميتها العالمية؛ فكانت تستمدها من الأماكن الدينية المقدسة، وعندما حاولت الدول الأوروبية، والحركة الصهيونية التغلغل في أراضيها اتخذت من الاعتبارات الدينية وسيلة لتبرير أعمالها الاستعمارية في المنطقة، وهو ما دفع بالسكان المحليين، وإخوانهم في الولايات العربية الأخرى المنضوية تحت الحكم العثماني إلى رفض المشروعات الاستعمارية، والوطن القومي الصهيوني من خلال تأكيد أن القدس عاصمة إقليمية للبلاد الفلسطينية.

ويؤيد هذا ما نشرته الصحف المحلية في القدس، ويافا، ودمشق، وبيروت، وبغداد، وحلب، وحيفا، وعليه فإن اتخاذها عاصمة سياسية لمتصرفيات فلسطين: عكا، ونابلس، والقدس، بعد رحيل الحكم العثماني عنها عام 1336هـ/ 1918م، ووضعها تحت الانتداب البريطاني عام 1339هـ/ 1920م لم يكن من ابتداع الحركة الوطنية الفلسطينية المعاصرة.

13 –بسبب زيادة الطلب على الأراضي من قبل الحركة الصهيونية، ارتفعت أثمان الأراضي اللازمة للبناء داخل حدود بلدية القدس، وفي محيط الأسوار وواجهات القرى المتاخمة لحدود البلدية، ووصلت إلى حدّ حطمت فيه كل مقاييس المقارنة مع أراضي المواقع المأهولة الأخرى، وهو ما دفع الباب العالي إلى إصدار أوامره 1316ه/ 1898م القاضية بعدم جواز بيع الأراضي الأميرية الواقعة في ضواحي القدس الشريف لأجنبي أو لوطني.

14 –تباينت الإحصاءات السكانية لمدينة القدس من مصدر إلى آخر حول الأعداد الحقيقية للعرب واليهود خلال فترة الدراسة، حيث اعتادت إحصاءات صهيونية تضخيم أعداد اليهود، باحتساب المهاجرين الذين وصلوا إلى القدس ثم انتقلوا إلى الساحل ومناطق أخرى، كأنهم لا يزالون فيها، وقد استثنت هذه الإحصاءات السكان العرب في الأرياف المحيطة بالقدس الذين يعملون فيها (منهم مثلًا: العاملون في المدينة من سكان لفتا ودير ياسين)، بينما احتسبت في الوقت ذاته اليهود القاطنين خارج حدود المدينة وكأنهم من سكان المدينة (مثلًا: سكان

بيت فيغان، ورامات راحيل، وميكور حاييم)، وهي عملية التفافية الهدف منها تزييف الواقع الديموغرافي لمصلحة اليهود.

15 – أدركت الحركة الصهيونية منذ أن وطئت أقدامها أراضي القدس خطورة الكثافة، والنمو السكاني المتزايد من حين لآخر بالرغم من كل العقبات التي تعترض سبيله، وسهولة تحريكه من جانب الدولة العثمانية، أو أي قيادة وطنية قد تفرض نفسها على الساحة. ولذلك أخذت تسعى إلى تفريغ الأرض من سكانها من خلال ترويج الإشاعات لحفز العناصر الشابة على الهجرة إلى الأمريكتين تحت وطأة الإغراء المادي، وعندما أخفقت في تحقيق غاياتها على نطاق واسع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع العشرين بسبب إجراءات الدولة في موانئ المتصرفية، ووعي السكان أبعاد المخطط الصهيوني- لجأت إلى أسلوب الإرهاب والتهجير القسري الذي بلغ ذروته في نكبة عام 1368هـ/ 1948م.

16 – نما الاستيطان الصهيوني واتسع مع مرور الزمن، حيث بدأ بتحسين أوضاع اليهود في القدس ومدّ يد العون لهم، من خلال الجهود الفردية للمتحمسين من الأثرياء اليهود، أمثال منتفيوري وروتشيلد، ثم تطور إلى الاستيطان المنظّم، بعد تأسيس المنظمة الصهيونية العالمية 1897م، ثم كان العامل الأبرز بتبني الدول الاستعمارية المشروع الصهيوني، وبخاصة بريطانيا التي أصدرت وعد بلفور، واحتلت القدس 1917م، وتمّ التصديق الدولي على صكّ الانتداب البريطاني عام 1922م، الذي يقرّ بوعد بلفور.

17 –جُوبِه المشروع الاستيطاني، والنشاط التغلغلي على أراضي القدس ومقاطعات فلسطين الأخرى بردة فعل قوية من جانب السكان المحليين، وآزرهم في ذلك سكان الولايات العربية المنضوية تحت الحكم العثماني في بلاد الشام والعراق، وهو ما يجسد وحدة المقاومة، والمصير والهدف.

18 – إن الحركة الصهيونية، وعن طريق الإغراء المادي، استطاعت أن تجنّد مجموعة لا بأس بها بوصفها طابورًا خامسًا بات يعمل لمصلحتها على أراضي متصرفية القدس في السر والعلن. وقد انخرط في صفوفه كثيرون من الجهاز الإداري في المعابر، ومراكز الحدود، والموانئ، والجمارك، والشرطة، ودوائر الجنسية، والجوازات، والنفوس، والطابو، والأوقاف، ومجالس الإدارة، والبلديات، والعديد من أبناء العائلات المتنفذة، والأسر التي بحوزتها ملكيات كبيرة من أهالي المدن، والقرى، والبوادي، وبعض رجال الدين والمثقفين الذين تلقوا علومهم في الأزهر الشريف، ومعاهد، وكليات دمشق، وبيروت، وإسطنبول، والدول الأجنبية شأنهم في ذلك

شـأن بعض رؤسـاء الطوائف المسـيحية، واليهودية المحلية، والملاكين الكبار في أراضي المتصرفيـة مـن أهـالي دمشـق وبـيروت.

19 –إن كلّ ما جرى من تطورات، وما حقّقه المشروع الصهيوني من نجاح وتعاون الطابور الخامس معه لم يحظَ باعتراف رسـمي من أصحاب الكلمة الأولى في المتصرفية؛ فالسـلطان عبد الحميـد رفـض رفضًـا قاطعًـا أن يمنح هرتزل زعيـم الحركـة الصهيونية بـراءةً خاصةً بأرض فلسـطين لإقامة الوطن القومي عليها، كما أنه لم يحظَ بشيء من هذا القبيل من جانب الحكومة الاتحادية في أعقاب عزل السـلطان بالرغم من التعاطف الملحوظ الذي أظهرته، وذلك نتيجة توتـر العلاقـات الدولية، وانقسـام الدول العظمى إلى قسـمين متنافسـين، وانحيـاز الحكومة الاتحاديـة لطرف، والحركـة الصهيونية للطرف المعادي، وانشـغالها في الحـرب العالمية الأولى، وتخـوف الحكومـة الاتحادية مـن ردود الفعـل العربية التي قـد تترتب على اعترافهـا بالمشروع الصهيوني.

20 –تعرّضـت أراضي مدينة القـدس ما بين 1271هــ/ 1854م– 1336هـ/ 1918م، وعلى وجه التحديد الأراضي الممتدة إلى الشمال والشمال الغربي من سور المدينة لهجمة استيطانية شرسة لا مثيل لها، وقد تمخّض عنها بناء 36 مستوطنة أو "قومبانية" شُحِنَت بالمستوطنين، من كل حدب وصوب، لا من مهاجري روسيا فحسب، وغالبًا ما تدفقت الأموال إلى القدس من الخارج لدفع أثمان الأراضي وبناء المستوطنات وتعزيزها بالمدارس الدينية والجامعات، والمشافي والصيدليات، لصهر الثقافات المختلفة، وإحياء اللغة العبرية، وكانت رؤوس الأموال تدخل على هيئة تبرعات للجمعيات الخيرية والأثرياء بغية نيل الأجر والثواب، من دون أن يواجهها أيّ عوائق أو عراقيل.

21 – الاسـتيطان الصهيـوني في القـدس منذ بدايتـه 1854م وحتى يومنـا هذا، أعلن عدوانـه المبـاشر على الشـعب الفلسـطيني والأمة الإسـلامية جمعـاء، من خـلال العمل في ميادين ثلاثـة، أولهـا: طمس الهوية الإسـلامية للقدس، وتهويد المسـجد الأقـصى المبارك، ومحاصرتـه بالأحيـاء الاسـتيطانية تمهيـدًا لهدمـه لبنـاء هيكلهم المزعـوم، ثانيهـا: مصادرة الأراضي الفلسـطينية المقدسية، ونقل ملكيتها للمسـتوطنين الصهاينة، ثالثها: طرد المواطن الفلسـطيني المقـدسي من أرضه لإحداث تغيـير ديمغرافي يرجّح كفة المسـتوطنين الصهاينة في مدينـة القـدس.

22 –إن كلَّ قطرة دم أُرِيقَت على ثرى فلسطين، وكل مآسي هذا الشعب المنكوب، وويلاته، ومعاناته منذ بداية الاستيطان الصهيوني، وإلى أن يزول هذا الكيان المصطنع– تتحمل بريطانيا أولًا، وأمريـكا ثانيًا تبعاته، فهـما يتحمّلان أوزار هذه الدماء، وتلك الويلات، والنكبات بحق الشعب الفلسطيني.

التوصيات :

1 – وضع مناهج فلسطينية جديدة تجسد الوقائع، والحقائق التي مرت بها القضية الفلسطينية بهدف الكشف عن مخططات اليهود واستخلاص العبر، ومن أجل إيجاد جيل فلسطيني يؤمن بوطنه وبتاريخه.

2 – أن تهتمّ مراكز البحوث الفلسطينية بالهوية الحقيقية لمدينة القدس، من خلال التركيز على العمق الديني الإسلامي والتاريخي والثقافي الذي تشكله هذه المدينة، بهدف دحض المزاعم الصهيونية حول قدسية المدينة بالنسبة لليهود.

3 – إقامة متحف فلسطيني يجسّد مراحل النضال الفلسطيني ضد الصهاينة خلال فترة التاريخ المختلفة، أسوة بالمتحف الصهيوني الموجود في الجامعة العبرية.

4 – استخلاص العبر من تجربة الصهيونية، وفي التعرف على الدهاء، والمكر الصهيوني بهدف عدم تكرار أخطاء الماضي.

5 – يجب على العرب، وقادة الرأي، وزعماء الأمة أن يكونوا على مستوى عالٍ ورفيع من الحيطة، والدراية، ودراسة تاريخ الحركة الصهيونية، وآمالها، وأحلامها، ومخططاتها؛ حتى يأمنوا غدرها، وينزعوا نابها، ولا يتأبطوا الأمور تأبطًا، والتركيز على أن القدس هي العاصمة الموحدة للدولة الفلسطينية.

6 – تفعيل المقاطعة العربية والإسلامية: الدبلوماسية، والاقتصادية، والسياسية بحق الكيان الصهيوني.

7 – وضع إستراتيجية عربية، وإسلامية، لإنقاذ مدينة القدس من براثن الاحتلال، وتعزيز سبل الدعم المادي، والمعنوي من أجل تعزيز صمود أهل القدس.

8 – توضيح أهمية المقاومة الشعبية والعسكرية في استرجاع المقدسات.

9 – مقاطعة الشركات العالمية التي تقدّم مساعدات للاستيطان في القدس.

10 – العمل على رفع قضايا قانونية، وجنائية (جرائم حرب) في المحكمة الدولية، ضد بريطانيا، وما تسببته من أذى للشعب الفلسطيني عبر احتلالها لفلسطين.

11 – دعم المراكز والمؤسسات التي تُعنَى بالقدس، من خلال توفير الدعم المالي لها، من أجل نشر الكتب، والدوريات التي تتعلق بالقدس.

12 – استحداث برامج ماجستير تتعلق بالدراسات الصهيونية– الإسرائيلية في الجامعات الفلسطينية على غرار برنامج ماجستير أبوديس–القدس.

13 – إعداد المزيد من الدراسات العلمية الجادة حول جميع أبعاد لصراع الدائر على أرض فلسطين.

الهوامش والمصادر :

1 . مايكل دمبر، الاستيطان في البلدة القديمة، مجلة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ع8، خريف 1991م، ص35.
2 . عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث، ط10 (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990)، ص40.
3 . انظر: تقرير اللجنة التي عينها المندوب السامي لفلسطين للتحقيق في الاضطرابات التي وقعت في يافا وجوارها– في أيار 1921، مركز أبحاث منظمة التحرير، بيروت، 1989، ص32-33.
4 . المرجع السابق، ص32-33.
5 . محمد رفيق ومحمد بهجت: ولاية بيروت: القسم الجنوبي (بيروت: دار العلم للملايين، 1965)، ص215.
6 . صبري جريس، السنوات الخمس السمان في تاريخ الوطن القومي في فلسطين (1931-1936)، شؤون فلسطينية، ع138، ص71.
7 . الكزاندر شولش، تحولات جذرية في فلسطين 1856-1882، ترجمة كامل العسلي (عمان: الجامعة الأردنية، 1988)، ص70.
8 . عادل مناع، فلسطين في أواخر العهد العثماني -1700 1918، (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1999)، ص224.
9 . W. Stein. Kenneth: op. cit.. P. 36.
10 . الكيالي، مصدر سابق، ص41-67.
11 . 195 F.o. 1765/No.35 Jerusalem. 30th Dec.1892.
12 . 195 F.o 1789/No.13 Constantinople. 3rd April 1893.
13 . شولش، مصدر سابق، ص70
14 . سجلات محكمة القدس الشرعية: 26 / أيلول 1898، ص669.
15 . محمد الحزماوي، ملكية الأراضي في فلسطين1918-1948 (عكا: مؤسسة الأسوار، 1998)، ص78.
16 . W. Stein. Kenneth: op. cit.. P. 36
17 . المنادى، القدس، مجلد6، ع1912/5، ص200.
18 . البيان، نيويورك، ع770، في 19 آب 1911.
19 . البيان، نيويورك، ع870، في 31 كانون الأول 1911.
20 . المقتبس، دمشق، ع465، في 4 أيلول 1910، 467، 469 في 6 و8 أيلول 1910.
21 . البشير، بيروت، أبريل 1898، مجلد22، ص310.
22 . المنادى، مجلد1، 108/6. محمد رشيد رضا اللبناني الأصل المقيم في القاهرة.
23 . جريدة فلسطين، يافا، ع397 في 16 كانون الثاني 1914، وجريدة الإصلاح، ع233 – 1628 في 14 شباط 1914.
24 . Mandel . OP.cit .PP. 93
25 . قناة الجزيرة: النكبة - خيوط المؤامرة، ج1، مايو2011م ، ج1.
26 . نظمي الجعبة، تاريخ الاستيطان الصهيوني في القدس، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 2002، ص12،17، 51.
27 . خيرية قاسمية، النشاط الصهيوني في الشرق وصداه 1909-1918م (بيروت: مركز أبحاث منظمة التحرير، 1973)، ص202.
28 . الكيالي، مرجع سابق، ص63.
29 . قاسمية، مرجع سابق، ص208.
30 . انظر جريدة المقتبس ع363 في 9 أيلول 1913، ع366 في 19 أيلول 1913، ع404 في 10 شباط

1914.

31 . جريدة فلسطين، العدد 326 – 29 في 10 حزيران 1914، ع325 – 28 في 6 حزيران 1914.

32 . قناة الجزيرة: النكبة - خيوط المؤامرة، مرجع سابق، ج1.

33 . انظر جريدة فلسطين الصادرة في يافا العدد 253 – 50 في 12 تموز 1913.

34 . المنادى، ع3، 20 شباط 1912، ص1-2.

35 . المقتبس، ع465 في 4 أيلول 1910، 467، 469 في 6 و8 أيلول 1910.

36 . المقتبس، ع529، في 20 تشرين الثاني 1910.

37 . المقتبس، ع542، في 5 كانون الأول 1910.

38 . ثمة ظاهرة سلبية انتشرت في الربع الأخير من القرن التاسع عشر في ريف متصرفية القدس تمثلت بهجرة أعداد غير قليلة من الفلاحين إلى أوروبا وأمريكا، ولاسيّما في منطقة بيت لحم، ثم تبعهم سكان قرى بيت جالا ورام الله، في الوقت الذي زادت فيه هجرة اليهود إلى فلسطين. (انظر جريدة فلسطين، ع257 – 54 في 26 تموز 1913)

39 . جريدة الأهرام، ع9493 في 9 يونيو 1909، 9507 في 25 يوليو 9515، 9516 في 5 و6 يوليو، 9519 في 9 يوليو، 9521 في 12 يوليو، 9523 في 14 يوليو، 9530 في 22 يوليو، 9543 في 6 أغسطس 1909.

40 . فلسطين، ع321 – 24 في 4 نيسان 1914.

41 . فلسطين، العدد السابق (321-24).

42 . صالح الشورة، مدينة القدس تحت الاحتلال البريطاني، (د ط) 2004، ص142.

43 . Al-Modalall. Waleed: op. cit.. P. 18

44 . مصطفى الدباغ، بلادنا فلسطين، ج10، ط2 (الجليل: دار الهدى، 2003)، ص49.

45 . قناة الجزيرة: أرشيفهم وتاريخنا، مرجع سابق، ج2.

46 . الدباغ، مرجع سابق، 49/10.

47 . محمد عناب، الاستيطان الصهيوني في القدس، ط1 (بيت المقدس للنشر،2001)، ص48.

48 . الدباغ، مصدر سابق، 49/10.

49 . عناب، مصدر سابق، ص 48.

50 . عبد الله مخلص، مقال بعنوان "كتاب مفتوح إلى مجلس النواب"، انظر المقتبس، ع318 في 15 آذار 1910.

51 . مخلص، المصدر نفسه؛ الجزيرة: أرشيفهم وتاريخنا، مرجع سابق، ج2.

52 . فلسطين، ع185 – 84 في 2 تشرين الثاني 1912.

53 . فلسطين، ع207 – 4 في 25 كانون الثاني 1913.

54 . فلسطين، ع263 – 59 في 13 آب 1913، (انظر ع267 – 64 في 30 آب 1913، ع287 – 84 في 8 تشرين الثاني 1913).

55 . فلسطين، ع323 – 26 في 11 نيسان 1914.

56 . البشير، ع444 في 7 تموز 1914.

57 . جريدة "الاتحاد"، بيروت، ع233–1628 في 14 شباط 1914.

58 . Mandel . Neville . Turks . Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 – 1914 . St. Antony's Papers . No17 . Middle Eastern Affairs . No4 . PP.77 – 108 .

59 . مقال بعنوان "الهجرة عند العرب" بقلم: راغب الخالدي، انظر أيضًا جريدة الكرمل، ع397 في 16 كانون الثاني 1914؛ وجريدة الإصلاح، ع233 – 1628 في 14 شباط 1914.

60 . فلسطين، ع263 – 59 في 13 آب 1913، انظر العدد 267 – 64 في 30 آب 1913 والعدد 287 – 84 في 8 تشرين الثاني 1913.

61 . Kark. Ruth and Landman. Shimon. The Establishment of Muslim neighborhoods in Jerusalem. outside the old city during the late ottoman period.

.135-Palestine Exploration Quarterly. July-December. 1980. PP. 1113

وانظر أيضًا: لندمان، شمعون، أحياء أعيان القدس خارج أسوارها في القرن التاسع عشر. تل أبيب. دار النشر العربي 1948، (مترجم عن العبرية).

62 . روشيل ديفيس، نمو الجوالي في القدس الغربية (مستل من كتاب القدس -1948 تحرير: سليم تماري) ط2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص69.

63 . المصدر السابق، ص70. وانظر: 121Kark and Landman. Op. cit.. PP-125.

64 . ديفيس، مصدر سابق، ص70. وانظر: 121Kark and Landman. Op. cit.. PP-120.

65 . المصدر السابق، ص71؛ عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس (القدس: مكتبة الأندلس، القدس، 1986)، ص470.

66 . ديفيس، مصدر، ص71؛ العارف، مصدر سابق، ص442.

67 . العارف، مصدر سابق، ص469.

68 . ديفيس، مصدر، ص72؛ لندمان، أحياء أعيان القدس، ص55-56.

69 . ديفيس، مصدر سابق، ص72.

70 . انظر لندمان: أحياء أعيان القدس، ص63-65.

71 . العارف، مصدر سابق، ص469؛ طاهر النمري، حي النمامرة في البقعة (مستل من كتاب القدس -1948 تحرير: سليم تماري)، ط2 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2003)، ص272-369.

72 . ديفيس، مصدر سابق، ص73.

73 . المصدر السابق، ص73

74 . المصدر السابق، ص74.

75 . المصدر السابق، ص75.

76 . ديفيس، مصدر سابق، ص75؛ العارف، مرجع سابق، ص469.

77 . قناة الجزيرة: برنامج أرشيفهم وتاريخنا، مرجع سابق، ج 2.

78 . الشورة، مرجع سابق، ص142.

79 . المصدر سابق، ص143.

80 . المصدر السابق، ص 142-143.

81 . (3) 207 – 206.PP. 1923. London .

82 . فلسطين، ع221 – 18 في 15 آذار 1913.

14 .Brit-Shalom Society . Jewish Arab Affairs. Jerusalem. 1931. PP

83 .Mandel . OP. cit .P.102.

84 . البيان، ع346 في 4 تموز 1913، ع347 في 8 تموز 1913؛ وانظر أيضًا فلسطين ع252 – 49 في 9 تموز 1913.

85 . المقتبس، ع335، في 23 أيار 1913، وانظر أيضًا، فلسطين: ع280–77 في 14 تشرين الأول 1913، 281–78 في 18 تشرين الأول 1913، 294–91 في 27 كانون الأول 1913.

86 . المقطم، ع7648 في 22 مايو 1914، مقال بعنوان: "زعماء الصهيونية – كشف الستار عنها وخطرها بقلم: محمد عبد الرحمن العلمي"، ص164.

87 . المقطم، ع7655 في 30 مايو 1914 مقال بقلم: عيسى داود العيسى بعنوان: "مغالطات صهيونية " ص164.

88 . البشير، ع435 في 5 حزيران 1914، ع451 في 31 تموز 1914، وهاجم نجيب نصار شبلي شميل ويعقوب صروف ونمر فارس، ورفيق العظم رئيس حزب اللامركزية؛ لموقفهم المتخاذل من الحركة الصهيونية، وكان شبلي شميل قد نشر مقالًا في المقطم حثّ فيه العرب على الاقتداء بالصهيونية بدلًا من معارضتها، (انظر ع437 من الكرمل في 12 حزيران 1914).

89 . المقتبس، ع465 في 4 أيلول 1910، 467، ع469 في 6 و8 أيلول 1910.

90 . نشر جمال باشا الرسالة في 1915/9/1م، (انظر Mandel. Neville. Attempts at an Arab – Zionist Entente: 1913 – 1914. Middle Eastern Studies. Vol. 1 April. 1965.

.265-PP.264 .267-PP.238

91 . خليل عثامنة، فلسطين في خمسة قرون من الفتح الإسلامي حتى الغزو الفرنجي، ط1 (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2000)، ص164-169.

92 . مناع، مصدر سابق، ص234.

93 . البدور بدر: السياسة الإسرائيلية تجاه مدينة القدس، ص166.

94 . مناع، مصدر سابق، ص234.

Institute for Palestine .1882-Scholch. Alexander: Palestine in Transformation 1856 .Studies.Washington. .1993

95 . علي محافظة، الفكر السياسي الفلسطيني قبل عام1948، الموسوعة الفلسطينية، مجلد3، بيروت،1990، ص532.

96 . الاتحاد، ع154، 12 آذار 1909، ص3؛ فلسطين ع105، 24 كانون الثاني 1912، ص1.

97 . قناة الجزيرة: برنامج "أرشيفهم وتاريخنا"، مرجع سابق، ج4.